



جمهورية مصر العربية  
مجتمع اللغة العربية

# طه حاسين

## في المغرب

بقلم

الدكتور عبد الهادي التانري  
عضو المجمع من المغرب

القاهرة

١٤٢٠ هـ — ٢٠٠٠ م



جمهورية مصر العربية  
مجمع اللغة العربية

# طه حسين في المغرب



الملك محمد الخامس يقدّم الدكتور طه حسين وسام الكفاءة الفكرية

بقلم

الدكتور عبد الهادي التازي

عضو المجمع من المغرب

## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع	رقم
أ	تصدير للدكتور شوقي ضيف رئيس المجمع .....	١
ج	مقدمة للدكتور عبد الهادي التازي عضو المجمع .....	٢
١	الدكتور طه حسين بالمغرب ، دوره في صحوة الفكر .....	٢
٢٣	الملاحق .....	٤
٢٥	الملحق الأول : محاضرة : الأدب العربي ومكانته بين الآداب العالمية	٥
٤١	الملحق الثاني : محاضرة : الأدب العربي في مصر قديماً وحديثاً	٦
٦١	الملحق الثالث : محاضرة : مشاكل الأدب العربي بعد الإسلام .....	٧
٧٩	الملحق الرابع : محاضرة : حول مشاكل الأدب العربي .....	٨
٨٥	الملحق الخامس : قصيدة : الشاعر محمد الحلوي .....	٩
٩١	الملحق السادس : استجاب عن مجلة الإذاعة الوطنية .....	١٠
٩٩	الملحق السابع : مقال نشرته جريدة " الجمهورية " المصرية .....	١١
١٠٩	الملحق الثامن : صفحة من مذكرات السيدة سوزان .....	١٢
١١٣	صور تذكارية للدكتور طه حسين .....	١٣

رقم الإيداع ٥٥٩٣ / ٢٠٠٠ / ٩ - ٣٧ - 5037 - 977

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١١٤٩٥ / ٩٩

# بسم الله الرحمن الرحيم

## تصاير

للأستاذ الكبير الدكتور طه حسين حامل لواء النهضة الأدبية العربية في القرن العشرين موقف مجيد من شعب مراكش المغربي ، وملكه محمد الخامس حين اعتدت فرنسا عليهما سنة ١٩٥٣ ونفت الملك وأسرتة إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر، وأخذ شعبه يكافح فرنسا كفاحا عنيفا، واشترك معه الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين في هذا الكفاح بمقالات صحفية ملتهبة ، ورد إلى فرنسا وسام جوقة الشرف الذي كانت أهده إليه غضبا للمغاربة الأحرار الثائرين عليها في مراكش ومليكنهم . ونجحت الثورة ، إذ فرضت على فرنسا إرادتها وأجبرتها أن ترد إلى شعب مراكش سنة ١٩٥٦ مليكة وحرية وسيادته واستقلاله الكامل .

ودعت مراكش الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين لزيارتها عرفانا بصنيعه وما أدى إليها في ثورتها من إسهام حميد ، وزارها في صيف سنة ١٩٥٨ واحتفى به شعب مراكش ومليكة حفاوة عظيمة . وفي هذا الكتاب يصف الأستاذ الجليل الدكتور عبد الهادي التازي عضو مجمع اللغة العربية عن مراكش هذه الزيارة التاريخية وما استقبل به من حفاوة وما ألقى فيها



من محاضرات نفيسة تناولت مكانة الأدب العربي بين الآداب العالمية ،  
والأدب العربي بمصر قديما وحديثا ، ومشاكل الأدب العربي بعد الإسلام ،  
وبعض مشاكله في العصر الحديث . والأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي  
مشكور أصدق الشكر لتسجيل هذه الزيارة ومحاضراتها بحيث يمكن ضمها إلى  
أعمال الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين الأدبية التاريخية التحليلية بما اشتملت  
عليه من آراء وأفكار قيمة .

وسجل الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي في الكتاب لقاء الملك محمد  
الخامس للأستاذ الكبير الدكتور طه حسين وإهدائه إليه وسام الكفاءة الفكرية  
أعلى أوسمة المملكة المغربية ، وهو أول من تقلد هذا الوسام المغربي الرفيع ،  
وحيّاهُ الملك العظيم تحية كريمة شكر له فيها موقفه مع الشعب المغربي في كفاحه  
ضد فرنسا وقال له متلطفًا إن الشعب المغربي كان ينتظر زيارتكم له منذ أمد  
طويل .

وباسم الجمع اللغوي واسمي أشكر للأستاذ الجليل الدكتور عبد الهادي  
التازي إثارة الجمع بوصفه البديع لهذه الزيارة التاريخية للأستاذ الكبير الدكتور  
طه حسين لمراكش وما سجل فيها من محاضراته القيمة .

والله ولي الهدى والنوفيق.....

رئيس الجمع اللغوي

الأستاذ الدكتور شوقي ضيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مُقَدِّمَةٌ

هذا بحث كان من وحي المحاضرة القيمة التي ألقاها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة في مؤتمر المجمع ، الدورة الثالثة والستين أثناء الجلسة الرابعة عشرة ، بالقاعة الكبرى لدار المجمع مساء الاثنين ١٥ / من ذي القعدة ١٣١٧ هـ = ٢٤ من مارس ١٩٩٧ م ، تحت عنوان ( طه حسين المجمعي ) .

لقد تلت تلك المحاضرة تعليقات كان من بينها تعليق لي مقتضب عن زيارة الدكتور طه حسين للمغرب ومحاضراته التي أشار في آخرتها - وهو بتطوان - إلى محاولة إصلاح النحو في القرن السادس الهجري من لندن القاضي المغربي ابن مضاء الذي كان الدكتور شوقي ضيف كتب عنه قبل سنوات . وقد شعرتُ بأن موضوع الزيارة في حاجةٍ إلى استيعابٍ أكثر ، وعسى أن تؤدي محاولتي هذه ما أردته منها ...

كان الحافز الذي دفعني إلى كتابة هذا البحث مزدوج الهدف ، فهو أولاً برور بروح هذا الرجل الذي وقف حياته على خدمة اللغة العربية وآدابها .

ثانياً ، تغطية لفترة هامة من حياته لم تحظ بما تستحقه من تحقيق وتوثيق، إنها الفترة التي قضاها بالمغرب في صيف ١٩٥٨م ، والتي كانت، على قصرها ، فترة ثرية غنية بالعطاء لم ينتبه إليها سائر الذين ترجموه أو أنهم عاجوها علاجاً محتشماً بما في ذلك المؤلفات والمجلات التي نُصِصت في مصر لحياة وإنتاج الرجل ، علاوة على ما ارتكبه بعضهم من أخطاء في التاريخ أو في الموضوع أو المحتوى ، وقد رأيت من واجبي - وقد كنت رفيق الدكتور يوماً عن يوم ولا سيما وقد كان لهذا الحديث أثره في مسيرتي العلمية - أن أقوم بملء هذا الفراغ من حياة رئيس سابقٍ لمجمعنا الكبير .

د . عبد الهادي التازي

عضو المجمع عن المغرب

الدكتور طه حسين بالمغرب  
دوره في صحوة الفكر من خلال محاضراته وندواته



لقد كان محظوراً علينا أن نتصل بالمشرق إلا عبر القنوات التي تسمح  
السلطات الاستعمارية بالمرور منها ، وكذا فإن النشرات الواردة علينا من  
المشرق كانت تخضع بدورها لرقابة محكمة ، وحتى صور قادة المشرق وزعمائه  
كانت تتعرض للمصادرة بل وللعقاب الصارم على امتلاكها وترويجها !  
وقد وجدت نفسى ذات يوم بالسجن عام ١٩٣٧م لأن الشرطة عثرت فى بيتنا  
على رسوم لسعد زغلول وفريد وجدى وقاسم أمين ! لقد سألتونى عن علاقتى  
بمؤلاء فقالوا: هل هم أحوالك أو أعمامك ؟ والحقيقة أننا كنا نتبادل سراً بعض  
الكتب التي تتسرب إلينا من المشرق من أمثال "حاضر العالم الإسلامى" الذى  
ترجمه الأستاذ عجاج نويهض<sup>(١)</sup> وكتاب "لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم"  
للأمير شكيب أرسلان ، وياويل من ضبطت عنده ورقة من مثل هذه "  
المخدرات " ! وقد ازداد الحصار إحكاما عندما احتدت المعركة بين الوطنيين  
والاستعمار ، أواسط الأربعينيات، عندما طالب المغاربة باسترجاع استقلالهم ،  
واشتدت المواجهة أوائل الخمسينيات عندما توالى كتابات المصريين عما يجرى  
بالمغرب من تجاوزات خطيرة بلغت حد تهديد العاهل المغربى الملك محمد الخامس  
بخلعه عن العرش إن هو تمادى فى مناصرة الحركة الوطنية التي تطالب  
بالاستقلال.

وفى أعقاب أزمة ٢٥ فبراير ١٩٥١م توهم الاستعمار أنه سيجد فى صحافة  
مصر ما ينفس عنه . فاستقدم الدكتور محمود عزمى عن جريدة ( الأهرام )

---

<sup>(١)</sup> the New world of Islam : lothrop Stoddard

وقد علق عليه الأمير شكيب أرسلان ، طبعة أولى ١٣٤٣-١٩٢٥ .

ليقف بنفسه على زيف " ادعاءات " الوطنيين وأن البلاد تعاني من الظلم والحيف، ولكن الدكتور عزمى عاد من المغرب يحمل معه أجوبة مكتوبة من لدن العاهل المغربي ، الأجوبة كانت تُدين المحاولات الرخيصة للتفرقة بين الملك والشعب حيث نشر الاستجواب صورةً وحرَفًا في جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٥١/٣/٢٧ (١) .

وما زلت أذكر أن في صدر الحملات العنيفة التي كان الوطنيون المغاربة يوجهونها ضد الحماية أنها كانت تحرم على المغاربة فتح المدارس لنشر التعليم مع أن طه حسين وزير المعارف وقتها كان ينشئ العديد من المدارس ويقرر مجانية التعليم الثانوي ويعلن أن التعليم ضروري للناس ضرورة الماء والهواء .  
لقد كانت مصر لنا بمثابة القبس الذي يهدينا إلى الطريق ونحن نقاوم الاستعمار (٢) .

وقد ركب الاستعمار رأسه فأقدم على نفي الملك محمد الخامس، يوم ٢٠ غشت (٣) ١٩٥٣ والذي كان يصادف عيد الأضحى عند المسلمين . وهنا لم يكن من الغريب أن يسمع الناس بالمغرب أن الدكتور طه حسين يُرجع الوسام الفرنسي ( لا ليجيون دونور ) من رتبة فارس كبير احتجاجاً على ما يجري في الجناح الآخر من العالم العربي!

---

(١) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ، ج ١٠ ص ٢١٤ - ٢٢٣ رقم الإيداع القانوني ١٩٨٦/٢٥ مطابع فضالة - المحمدية - المغرب .

(٢) من الطريف أن نجد أن النشرة التي كانت تصدرها إدارة الحماية تهم بقرار طه حسين إدخال اللغة الفرنسية بالمدارس الحكومية لكنها أهملت القرارات الأخرى المتعلقة بجزية التعليم. انظر النشرة (Bulletin) عدد ٢١٦ الأربعة الشهور الأخيرة. ١٩٥٠ .

(٣) غشت - أغسطس

ولقد كتب الدكتور طه حسين - بعد نفي الملك محمد الخامس وولي عهده  
وسائر أسرته إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر - مقالا بجريدة الجمهورية عدد  
١٩٥٣/١٢/٢٩ م يحمل عنوان ( حول هوشى منه ومحمد الخامس ) .

وأردفه بمقال آخر في الجمهورية يوم ١٩٥٤/١/٦ م حول ( محمد بن عرفة )

الصنيعة التي نصبها الاستعمار عوض الملك محمد الخامس !

ثم كتب بعد أن ظهرت بوادر النصر في أعقاب الكفاح المرير الذي خاضه  
الشعب المغربي من أجل إرجاع مليكه ، كتب يقول : " فرض الشعب  
المراكشي إرادته على فرنسا فاضطرها اضطراراً إلى أن تعترف باستقلاله  
وسيادته، وأكرهها إكراها على أن تفاوض السلطان الذي أنزلته عن عرشه منذ  
عامين ونفته إلى جزيرة نائية في أقصى المحيط ، وقدرت أنها ستجعله نكالا  
للثائرين بها والمتمردين عليها فلم يُغن عنها مكانها الرفيع وصيتها البعيد وبأسها  
الشديد وسلطانها الواسع شيئاً ، وإنما مضى الشعب المراكشي في ثورته وأضاف  
عنفاً إلى عنف " .

كانت أمثال هذه المواقف بمثابة البلمس الذي يضمّد جراح المناضلين  
والمبعدين الذين استمروا في كفاحهم إلى أن عاد محمد الخامس من منفاه يحمل  
معه استرجاع المغرب لحرية واستقلاله على ما أكدّه الدكتور .

وينبغي أن نتصور مدى ابتهاج المغاربة وقد أصبح في مستطاعهم أن  
يستقبلوا ضيفاً كبيراً كان هو الدكتور طه حسين (١) !

---

(١) كانت فاس قد احتضنت في رجب ١٣٧٧ هـ - يناير ١٩٥٨ م المؤتمر الإقليمي العربي الأول للجان الوطنية  
لليونيسكو تحت الرئاسة الفعلية لجلالة الملك محمد الخامس ، كان في صدر المشاركين فيه د. أحمد زكي وحسين فوزي  
وأحمد فكري إلخ ... انظر الوثيقة الخاصة بهذا اللقاء التي أصدرتها وزارة التربية الوطنية - المطبعة الاقتصادية - الرباط .

لقد غمرتني فرحة زائدة وأنا أجد نفسي بطنجة يوم الثلاثاء ٢٤ يونيو ١٩٥٨م أستقبل فيها الزائر الكريم نيابة عن وزارة التربية الوطنية وضمن الوفد المغربي الذي صحبه في خطواته .

أذكر جيداً اجتماعنا ببيت السيد الدكتور عبد اللطيف بن جلون عامل طنجة الذي خصص استقبالاً حميماً لعميد الأدب العربي الذي وصل ، عبر جبل طارق ، بصحبة زوجته السيدة سوزان إلى جانب كاتبه الخاص السيد فريد شحاتة .

وفي هذا الاجتماع بيت هذا السيد العامل ، عندما كان الدكتور في جلسته الهادئة يستمتع بنسيم البحر تسلل كلبٌ ضخماً الجثة من نوع ( بيرجى ) كانت تمتلكه السيدة زوجة العامل ، ومضى الكلب نحو الدكتور طه حسين ، وبدون سابق هَرِيرٍ أخذ يَحْتِكُ بركبتي الدكتور !

شعرت بالضيف يفاجأ بصنيع هذا الطارئ ولكن الدكتور بما عهد من ظرف ولطف حوّل المفاجأة إلى تعبير أدبي رفيع، وتمثل بقول حسان بن ثابت في أولاد جفنة:

يُغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل !

قالها بصوته الجمهورى المعروف وأسلم الحاضرين إلى مجلس أنسٍ جميل .  
بهذا ابتدأت بالمغرب أيام طه حسين التي كانت أيام أعراس أدبية علمية رددت صداها سائر أجهزة الإعلام المكتوبة والمسموعة ، وهكذا فبعد أن قام الدكتور يوم الأربعاء ٢٥ يونيو بزيارة للسيد الحاج أحمد بلافريج رئيس الحكومة ووزير الشؤون الخارجية ثم بزيارة وزير التربية الوطنية الحاج عمر بن



عبد الجليل ، وبعد أن حضر مأدبة العشاء التي أقيمت على شرفه في بيت السيد الحاج أحمد بناني مدير التشريفات الملكية ، والتي تميزت بحضور صاحب السمو الملكي ولي العهد آنذاك الأمير مولاي الحسن ... بعد ذلك قام الدكتور طه حسين صباح اليوم الموالي الخميس ٢٦ يونيو بمقابلة صاحب الجلالة الملك محمد الخامس حيث قرأنا في الصحيفة الرسمية " العهد الجديد " البلاغ التالي :

" حظي الدكتور طه حسين إثر وصوله إلى الرباط بمقابلة صاحب الجلالة الملك المعظم وكان الدكتور مصحوباً بمعالى رئيس الحكومة السيد أحمد بلافريج وسفير الجمهورية العربية المتحدة السيد أسعد محاسن ، وقد حضر المقابلة السيد أحمد بناني مدير التشريفات والسيد عبد الكريم غلاب رئيس قسم إفريقيا وأسيا بوزارة الخارجية والسيد بومهدى رئيس القسم الثقافي بنفس الوزارة والسيد عبد الهادي التازي عن وزارة التربية الوطنية " .

ويمضى البلاغ قائلاً : " وكانت المقابلة على جانب عظيم من الحفاوة والود فقد خاطب صاحب الجلالة الزائر الكريم قائلاً : إننا نرحب في شخصكم بعالم من أعلام الفكر العربي في العصر الحاضر ، والمغرب متشرف بزيارتكم التي كان يتمناها منذ أمد طويل ، لمشاهدة ما يبذله من جهود في سبل البناء والانبعاث " .

وأجاب الدكتور طه حسين : " إني متأثر جداً ، يا صاحب الجلالة ، بهذه المقابلة التي أنعمتم على بها ، ولي الشرف العظيم بالمثل بين يدي جلالتم أنتم الذين قدمتم معركة التحرير في المغرب وعانيتم كثيراً من التضحيات والمشاق في سبل إسعاد الشعب المغربي ، والكل يعترف بالفضل العظيم الذي طوقتم به جيد العروبة بكفاحكم واستبسالكم إلى جانب الشعب المغربي الأبي " .



فعبق جلاله الملك علي كلمة الدكتور قائلاً : نعتبر أن كل شخص مهما كانت مرتبته ينبغي له أن يؤدي واجبه في هذا المضمار ! وإن الشعب المغربي يذكر كذلك ما قمتم به أيضا من أعمالٍ أثناء المحنة السياسية التي اجتازها المغرب ولا تزال عالقة بأذهاننا مواقفكم ومقالاتكم في الدفاع عن القضية المغربية مما كان له أكبر الوقع والتشجيع للأمة المغربية في جهادها . وزيارتكم هذه ستكون لها أكبر الفائدة بالنسبة للمثقفين المغاربة الذين يتعطشون لمناهل العلم في البلاد العربية .

وبعد ذلك دار الحديث بين جلالة الملك المعظم والدكتور طه حسين عن ظروف السفر ، وعن البرنامج الذي وُضع لزيارته المغرب الكريم . ولما لاحظ جلالاته أن البرنامج ربما كان مرهقاً بالنسبة للدكتور طلب جلالاته من رئيس الحكومة السيد أحمد بلافريج ألا يكون في البرنامج إجهاد وتعب علي الدكتور . وإضافةً إلى ذلك الخبر الذي عممته أجهزة الإعلام صدر بلاغ من التشريفات الملكية يقول : يعلن مدير التشريفات والأوسمة أن صاحب الجلالة الملك المعظم حفظه الله تفضل بالإنعام علي معالي الدكتور طه حسين عميد كلية الآداب بالقاهرة بمناسبة زيارته أعلى درجة من وسام الكفاءة الفكرية الذي خصصه صاحب الجلالة بين الأوسمة الجديدة لذوى الكفاءة من العلماء والأدباء والأطباء والفنانين ورجال الفكر ، وإن الدكتور طه حسين أول من قلده هذا الوسام العلمي السامي .

وفي الساعة السادسة من مساء نفس اليوم أقامت وزارة الشؤون الخارجية حفل شاي كبير تكريماً لعميد الأدب العربي بجدايق الوزارة لم يحرم الدبلوماسيين

من الاستمرار فيها إلا إشفاق السيدة زوجة الدكتور على زوجها من ألا يأخذ وقته لإلقاء محاضراته حيث استمعتُ إليه يهمس في أذن بعض المشرفين على الحفل معترفاً ومداعباً: اعذروني فإن من الحب ما قتل !

فعلاً كان جمهور المثقفين على موعد مع المحاضرة الأولى للزائر الكريم التي ألقاها في نفس اليوم ٢٦ يونيه بكلية العلوم التابعة لجامعة محمد الخامس بحضور سمو ولي عهد المملكة الأمير مولاي الحسن ، وكانت بعنوان : " الأدب العربي ومكانته بين الآداب العالمية " .

لقد غصت القاعة على سعتها بالذين كانوا في شوق بالغ إلى السيد العميد، ومازلت أذكر جيداً أن هذا الجمهور، على سعته وتعدد اتجاهاته ، ظل كأن على رأسه الطير كما يقولون ، الكل رجالاً ونساء يصيح بسمعه إلى ما يقول الدكتور الذي قدمه إلى هذا الجمهور الأستاذ عبد الكريم غلاب .

لقد ابتداء الدكتور طه حسين حديثه وأنت تشعر بأن الرجل يأخذك بأسلوبه الساحر شيئاً فشيئاً ليلحق بك برفق إلى الموضوع الذي تناوله من غير أن تشعر بتعبٍ في تتبع فقرات حديثه ولا بصعوبةٍ في فهم لغته . وينساق بك إلى أن يصل إلى قمة النتيجة التي يتوخاها من عرضه ، فإذا أحس أنك وصلت معه إلى ما يريد أخذ بك في العودة بتؤدة ولطف وهو يزودك في هذه الأثناء بما يدعم أطروحته غير متكلف ولا متصنع ولا مغرب فيما يأتي به من ألفاظ سلسة مغرية ، وهكذا تشعر بأنه ماضٍ في اتجاه الانصراف حتى يصل إلى الدقيقة الأخيرة المحددة للكلام فيودعك وأنت تشعر بأنك عشت لحظاتٍ من الزمن في غاية المتعة ، وكأن الساعة ثانية ، فإذا أضفت إلى كل هذه المنهجية الأخاذة ما

حياه الله به من صوتِ موسيقىِ رخييم ، ومن احترامِ فائقِ لقواعدِ اللغةِ العربيةِ ، واختيارِ جيدِ للمفرداتِ الدالةِ التي يستعملها ، آمنت بأنك أمامَ معلمةِ جديرةِ بأن تكونَ القدوةَ للذين يُنشئون ويتحدثون ، وبأنك أمامَ رائدِ خبيرٍ بمعارجِ الطرقِ منها الأقربُ إلى الوصولِ ، وقد كان يذكرني في دعاءٍ كان يترددُ على لسانِ أحدِ مشايخنا أثناءَ الدرسِ : " اللهم ارزقنا العلمَ ، وارزقنا القدرةَ على تبليغه . "

قال الدكتور على الخصوص في محاضراته :

" ... لقد مرت على أدبنا العربي أطوار نستطيع فيها بحق أن نقرر أن هذا الأدب كان هو الأدب العالمي الممتاز في عصر من عصوره ، ذلك أن هذا الأدب لم يكد يخرج من جزيرة العرب حتى انتشر إنتشاراً رائعاً . ولست أعرف في اللغات القديمة لغة بلغت ما بلغته اللغة العربية من القوة ومن السعة والانتشار ومن القدرة على السيطرة على العالم القديم في أكثر أجزائه .

نعم كانت قبل اللغة العربية لغات قديمة أخرى انتشرت في الشرق وسيطرت على سياسته وإدارته وثقافته ، ولكنها لم تبلغ في أي وقت من الأوقات أعماق الشعوب الشرقية ولم تستطع أن تغير من نفوس الشرقيين ولا أن تغير من لغاتهم شيئاً وإنما فرضت نفسها سياسياً فكانت لغة الحكام وكانت لغة الإدارة وكانت لغة الثقافة الرسمية ، وظلت الشعوب تتكلم بلغاتها الخاصة . فالأمة اليونانية فرضت سيطرتها على الشرق عشرة قرون . لكن الشعوب ظلت محتفظةً بلغاتها الخاصة فكان المصريون محتفظين بالقبطية وكان السوريون وأهل الجزيرة والعراق محتفظين بالآرامية ...

وجاء الرومان بعد اليونان فلم تستطع لغتهم اللاتينية أن تنتشر في الشرق بحال من الأحوال وإنما كان الحكام من الرومانيين ... وظلت الشعوب مع ذلك محافظة على لغاتها الموروثة ... إلى أن جاءت اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي فانتشرت ودون أن يتخذ السلطان العربي أية قوة لفرضها ... نظرنا فإذا هذه اللغة تنتشر شيئاً فشيئاً ... ولا تلبث أن تصبح هي اللغة العامة لكل البلاد التي فتحها المسلمون في الشرق والغرب . انتشرت بقوة القرآن ، وبهذه القوة وحدها استطاعت أن تكون لغة عالمية لأول مرة وبأوسع معاني هذه الكلمة ، لكن الأدب الجدير بهذه المرتبة هو الذي يستطيع أن يأخذ وأن يعطي ولا يكون منعزلاً عاكفاً على نفسه . يأخذ من الآداب المختلفة ما يلائم طبيعته ، فلا يعيش منعزلاً وإنما يعيش متصلاً بحياة الأمم البعيدة منها ويعطيها في نفس الوقت ما يستطيع . إن كل أدب جدير بهذا الاسم يجب أن يأخذ ويعطي وأن يتأثر وأن يؤثر ... "

إلى آخر هذه الأفكار التي رأينا أن من الواجب أن نخصص لها ملحفاً خاصاً بعد أن سجلناها من الشريط المحفوظ بالإذاعة الوطنية التي نغتنم هذه الفرصة لنشكرها على مساعدتها .

لقد سمعنا صاحب السمو الملكي ولي العهد يقول : إنه يعتز بأنه أمسى من تلامذة الدكتور طه حسين ، وقد أبي إلا أن يقيم حفل استقبال أكاديمي على شرف الأستاذ الكبير في قصره الخاص بحى السويس مساء الأحد ٢٩ من يونيو / ١١ من ذى الحجة ، وقد كان سموه في استقبال ضيفه ، وصحبته إلى المائدة التي جلس حولها رئيس الحكومة ووزير الخارجية وعدد كبير من عليّة



الشخصيات الحكومية والدبلوماسية والأدبية بمن فيهم الأستاذ شارل أندرى جوليان عميد كلية الآداب وعدد من أعضاء ( جمعية العلماء بالمغرب ) الذين وصلوا إلى الرباط بمناسبة تقديم التهاني بعيد الأضحى لعام ١٣٧٧ .

وقد كان الدكتور قبل هذا ضيفاً على السيد رئيس الحكومة في مأدبة غداء هذا اليوم أقامها على شرفه في بيته وحضرها عدد من الشخصيات السياسية والوطنية كان من بينهم الأستاذ علال الفاسى ...

وقبل أن يغادر طه حسين الرباط حضر حفل استقبال كبير أقامه على شرفه في فندق حسان الأستاذ أسعد محاسن سفير الجمهورية العربية المتحدة . كما نظم الدكتور عبد العزيز الأهواني المستشار الثقافى بالسفارة ومدير المركز الثقافى المصرى فى التاسعة والنصف من نفس اليوم الأحد ٢٩ ندوة كبرى استجابة لطلب الأدباء الذى أبدوا رغبتهم فى الاتصال المباشر بالدكتور من الطلبة الناهمين حيث وجهت للأستاذ عدة أسئلة حول التعريب وتيسير النحو ، وكان الدكتور يجيب عنها بصراحة أثارت إعجاب الحاضرين . الأمر الذى يعبر عنه ما تركه - رحمه الله - من آثار جد هامة حول المواضيع التى تطرق إليها والتى أصبحت محل اهتمام من المشرفين على الشؤون الثقافية ببلادنا .

وقد عالج حديث الدكتور طه حسين يوم الاثنين ٣٠ يونيو = ١٢ من ذى الحجة فى العاصمة الاقتصادية الدار البيضاء بقاعة المسرح البلدى موضوع تطور الأدب العربى فى مصر قديماً وحديثاً حيث قدمه إلى الجمهور الأستاذ محمد الفاسى الذى نعت الدكتور " بشيخ الجماعة " .



وهكذا وبعد أن أكد أن فترة الحكم العثماني كادت أن تأتي على معالم الأدب العربي في مصر بحكم أنهم أي العثمانيين قطعوا كل صلة بينها وبين العالم الخارجي شرقا وغربا ، أشاد بما قامت به دولة المماليك من خلال الاتفاقيات التي أبرمتها ، والآثار التي تركتها بعد أن كان التتر أتوا على كل معالم الحضارة العربية في العراق، وهنا ذكر ما خلفه النويري والعمري والقلقشندي وابن منظور وابن حجر والسيوطي .

ويعتبر الدكتور طه حسين أن طرق الفرنسيين أبواب مصر أيقظ المصريين وخاصة عندما ظهرت المطبعة وانتشرت بعض التجارب العلمية . وأخذ المصريون يرسلون أبناءهم إلى الخارج وأخذ الأجانب يترددون على مصر ، وبرز على الساحة تياران : التيار القديم والتيار الجديد .

وهنا طمحت النفوس إلى الاستقلال ، وسمعنا عن البارودي وحافظ وشوقي وظهر النثر إلى جانب الشعر ، وشاهدنا أسبوعية " مصباح الشرق " وسمعنا بالمنفلوطي وآثاره .

ويبدو أن طه حسين وجد في الفرق بين سلوك القصر الملكي في مصر وسلوكه في المغرب ، مما يتصل بالتواطؤ مع الاستعمار ، وجد في ذلك ما يبرر لمزه للنظام الملكي في مصر . ومن هنا انتقل إلى دور الكتاب في العمل على التخلص من الاستعمار .

وفي هذا الصدد عرض لظهور حركة التمثيل بمصر . وهنا قدم توفيق الحكيم للمغاربة كما قدم إليهم عددا من الكتاب من أمثال نجيب محفوظ ...

وكان المهم في هذا الحديث أنه يدعو المغاربة إلى المشاركة في ذلك الجهد من أجل إظهار الكنوز العربية . ومن المهم أن نقف مرة أخرى على التأكيد على ضرورة عدم الاكتفاء بذكر القدماء . إننا نريد - يقول طه حسين - أن نعرف ما عند الغرب أيضا ونجمع ما نعرفه عن قدمائنا وأن نكون لأنفسنا شخصيتنا الجديدة الحرة المستقلة. فلا ينبغي أن نورث أبناءنا ما ورثناه فحسب وإنما ينبغي أن نورث أبناءنا ما ورثناه وما أنتجناه نحن ... " على ما سنقرأ تفاصيله من الملاحق .

وإثر هذه المحاضرة أقيم حفل حاشد على شرف الدكتور طه حسين في بيت الأستاذ الحلو وقد غص المنزل بالحاضرين ، وغابت عنه زوجته على ما نقرؤه في مذكراتها ...

وكان من طرائف ما جرى في فاس يوم الأربعاء الثاني من يولييه ١٩٥٨ م أن الدكتور عزم على زيارة جامعة القرويين التي تقع في قلب المدينة القديمة والتي نعلم عن صلتها بالأزهر في ذاكرة طه حسين ، وقد طلب إلى أن يختار أقرب طريق إلى الجامع واستكتمنى رغبته حتى لا تمنعه صاحبته من النزول بحجة الإشفاق عليه ، لكن الخبر وصلها فطلبت إلى أن أرافقها لتأخذ فكرة عن المسافة. الأمر الذي جعلها ترفض أن يقوم بمثل هذه المغامرة !

وعبثاً حاولنا إقناع السيدة بسهولة الطريق بل وبعتمادنا على السيارة الخاصة التي جعلها الملك تحت تصرفه ، فقد أصرت على رأيها ، وهكذا تحولت الزيارة إلى أحد فروع جامعة القرويين الذي كان يحمل اسم ( معهد الزربطانة ) حيث أقيم في حدائقه الواسعة حفل استقبال كبير حضره جميع علماء جامعة

القرويين ... واستجابة لرغبة الدكتور شارك في الاستقبال جوق الآلة الأندلسية التي كان الأستاذ يطرب لسماع إيقاع إحدى نوباتها : ( بطايحي رصد الذيل ). وقد تقدم بهذه المناسبة عدد من الخطباء الذين رحبوا بالزائر الكريم وكان منهم الشاعر الكبير الأستاذ محمد الحلوي الذي تقدم بقصيدة رائعة في نحو أربعين بيتا ، طرب لها الدكتور طه حسين ورجعت به إلى عهود الشعر الزاهرة على حد تعبيره ، جاء في أولها على ما سنرى في الملاحق :

حَقُّ عَلَى الشُّعْرِ أَنْ يُهْدِي عَرَائِسَهُ تَحِيَّةً لِعَمِيدِ الشُّعْرِ وَالْأَدَبِ  
هَفَا إِلَى حِضْنِكَ الدَّافِي لِتُنْعِشَهُ مِثْلَ الْيَتِيمِ الَّذِي يَهْفُو لِحِضْنِ أَبِي!

وقد كان من حسن حظي ونحن بمدينة فاس ، وبالذات في فندق زالاغ ، أن ألامم الدكتور طه حسين أكثر مما لازمته في الرباط أو الدار البيضاء ، لقد كنت على صلة ولمدة تزيد على عشر سنوات بزميل لي في الدراسة كان كفيفاً: العربي الرهوني ، فكنت أعيش مع نفس الحركات والمدركات . سألني - وكان يعرف أنني خريج جامعة القرويين - عن نصيبي من اللغة الفرنسية ؟ وهل سافرت خارج المغرب ؟ وقال لي مرة ألا تفكر في الالتحاق بالجامعة العصرية ؟ وقد استغربت من سؤاله هذا أول الأمر، لاسيما وقد كان يعلم أنني أب خمسة أطفال وأبني أعمل رئيساً للقسم الثقافي بوزارة التربية الوطنية !! وبين الفينة والأخرى ، كأنه كان ينسى ليرجع ويتحدث عن الجامعة العصرية على ما سنرى .

ولقد كان مما أثار انتباه الدكتور طه حسين - ونحن نتبع تساؤلاته - أنه أحياناً يدخل في حوار مع بعض الذين يسلمون عليه ، وقد كان يستغرب من

أن معظمهم كان بالسجن أيام الاستعمار . وسرى أن الدكتور يكتب : إن الذى يزور المغرب الأقصى بعد استقلاله إنما يزور وطنًا من أوطان البطولة حقًا ، فمن أعسر الأشياء وأشقها أن تتحدث إلى رجلٍ من رجال الحكم أو من رجال الثقافة أو من عامة الناس إلا عرفت أن له بالسجن عهدًا . !

ولقد كان موعد الجمهور مع المحاضرة الثالثة فى اليوم الموالى ، وقد اختيرت لها أكبر قاعة فى المدينة الجديدة : ( سينما لامبير ) حيث قدمه الأستاذ محمد الفاسى ، وقد كان موضوعها يتناول مشاكل الأدب العربى بعد الإسلام .

لقد خصص الحصبة الأولى من محاضراته بفاس لتحية أهل فاس والإشادة بأجداد القرويين ودورها فى الحفاظ على التراث الإسلامى والهوية العربية لبلاد المغرب . " إن لمدينة فاس فى قلوبنا مكانة أى مكانة فهى موئل الحضارة وموئل العلم ، وهى قلعة الإسلام الحصينة ، من أجل ذلك لا نذكرها إلا اشتقنا لزيارتها ولا نذكرها إلا ذكرنا جامعة القرويين وما يتصل بها ... ونحن نقدر فى أعماق نفوسنا أن جامعة القرويين هى أقدم الجامعات الإسلامية وعسى أن تكون أقدم جامعات الأرض كلها .

وقبل هذه الكلمات التى كانت بمثابة الوسام الذى حلى به صدر العاصمة العلمية للمغرب ، تفضل فشكر الاستقبال الحميم الذى خصصه علماء فاس لشخصه . " وإننى على ما سمعت من نثر رائع وشعر بارع بالأمس أذكر ما قيل قديما : " إن أعذب الشعر أكذبه " وإنى لأعتذر لشاعرنا العظيم من ذكر هذه الجملة القديمة .



وبعد هذا تصدى الدكتور للموضوع الذي قدمه لرجال الفكر بالعاصمة العلمية والذي كان فعلا مثيرا وممتعا وأصيلا في الوقت ذاته :

هناك نظرية تقول : إن ظهور الإسلام أسكت الشعراء حيناً من الدهر لأن القرآن بهر الناس ببلاغته وبيانه الرائع ، وكان ابن خلدون أول من قررها في مقدمته وتبعه الذين أرخوا الآداب العربية . وعن مصداقية هذه المقولة تحدث الدكتور بصراحته المعهودة مقترحا على العلماء استعمال أفكارهم حول هذه النظرية وأمثالها . هذه المشكلة - يقول طه حسين - أحب أن أثيرها أملمكم . وإني أرجو أن تتفكروا فيها وما أشك فيما بيني وبين نفسي في أن هذه النظرية ليست نظرية صحيحة بحال من الأحوال .

وهناك مشكلة أخرى تحتاج إلى كثير من التفكير - نلاحظ أن الحجاز - وهو موطن الوحي أصبح في عصر بني أمية موطن الغزل والغناء والموسيقا فملذا كان وراء هذا ؟ وهنا أيضا نصح الدكتور يفتح عيون الحاضرين على أفكر في منتهى الروعة والجرأة طالبا من الأدباء أن يستعملوا أفكارهم في الوصول إلى الحقيقة ... فليس يكفي - يقول الدكتور - أن نقرأ ما يكتب في الكتب ونقرره ونعيده على طلبتنا كما قرأناه ونصبح كأننا الأداة التي تحكى ما يسجل لها . وإنما وهبنا الله عقولا لنفكر بها ، وهبنا أذواقا لنقيس بها الجيد والردى . وسترون عندما تعيدون النظر في تاريخ الأدب العربي القديم في القرنين الأول والثاني بنوع خاص ، سترون أنكم أمام حقائق كثيرة إن ما نعرفه عن تاريخنا الأدبي قليل جدا بالمقارنة مع ما نجهله .



أنا أحب - يَختم الدكتور - أن أثير المشكلات وأن أثير القلق من حولي .  
إني لأرجو ألا تقرأوا كتاب الأغاني إلا لتقرأوا ليس غير ، ولا تتخذوه وحده  
مصدراً للتاريخ الأدبي .

لقد كان طه حسين يقصد إلى إعطاء مثل هذه المحاضرة في مدينة تحتضن  
جامعة القرويين شقيقة الأزهر ، جامعة تعيش على النصوص ، وبالنصوص ،  
وفي أحضان النصوص ، يقصد إلى أن يجرر الناس من أن يصبحوا عبيدا للنص  
بدون أن يستعملوا فكرهم جيدا في فهم النص وفي البحث عما قد يوجد من  
مصادر ومراجع تكشف عن مصادر النص وهدفه ، إن كل الناس مخاطبون  
باستعمال عقولهم واستخدام مواهبهم دون تقليد ولا متابعة عمياء . وسنرى في  
الملاحق تفصيلا عن موضوع المحاضرة .

وقد أبي محبوه بفاس إلا أن يأخذوه إلى مصطفى إيموزار الذي لا يبعد عن  
المدينة إلا قليلا حيث استمتع هناك بقعدات ندية حيث كانت أيدي الترحاب  
والتكريم تتهداه من زاوية إلى أخرى ...

وكانت زيارته لمدينة فاس مناسبة للإعلان عن قبول الدكتور للعرض الذي  
التمسته منه الجامعة المغربية : أن يلقي عدة محاضرات في السنة الأكاديمية المقبلة .

وفي طريقه إلى تطوان يوم السبت ٥ يولييه مر على مدينة القصر الكبير وهنا شعر  
بغياب أحد الرفاق في الرحلة وهو الزميل الراحل الدكتور عبد العزيز الأهواني ،  
وسرعان ما حضر الدكتور الأهواني فأنشده طه حسين هذا البيت الذي ارتجله :

اسألُ عَنِ الْقَصْرِ الْكَبِيرِ وَسِيرِهِ      تَجِدُ الْجَوَابَ لَدَى الْفَتَى الْأَهْوَانِي !

وفي تطوان مساء الأحد ٦ يوليه الموافق ١٨ من ذى الحجة بقاعة إسبانيول ألقى آخر محاضرة له ، وقد قدمه الأستاذ محمد بن تاوت التطواني رحمه الله .  
لقد أثار الدكتور طه حسين هذه المرة المشاكل التي تتصل بالأدب العربي عموماً كأزمة القراءة التي عزاها إلى تعلق الناس بأمر الحياة . مركزاً على السينما ودورها في جلب الناس إليها على نحو المقهى التي تحشر الناس إليها . وقد تخلص الأستاذ العميد إلى تصنيف الأدب إلى درجتين اثنتين فإما أن يكتب للكثرة وإما أن يكتب للقلة .

وقد وقف الدكتور مقارناً بين الأدب القديم مبدئياً ما كان يتمتع به الأدباء القدامى من تشجيع وعطف وتقدير .

وينتقل الدكتور طه حسين إلى الموضوع الذي ما انفك يثيره مع الشباب قائلاً : إن الشباب العربي الذي أخذ يكتسب عقلية القرن العشرين يجد الصغوبة الكبيرة في مسابقة الطريقة المتبعة في تعليم اللغة العربية وآدابها ، فإذا لم تصلح هذه اللغة وييسر هذا النحو فإننا نجد أنفسنا مسؤولين عن إعراض الشباب عن الأدب العربي بل ونعتبر محرضين لهم على ذلك ! وتأتى بعد هذا مشكلة الكتابة العربية التي تجعل الفهم قبل القراءة بدلاً من أن تسبق القراءة الفهم نظراً لعوامل الشكل والإعراب، وقد أشار في خطابه إلى القاضي المغربي ابن مضاء الذي دعا إلى إصلاح النحو ... والذي كان أستاذنا شوقي ضيف خصص له بحثاً هاماً منذ عام ١٩٩٧ .. إلى آخر الأفكار الجريئة التي أدلى بها والتي تركت لها أثراً كبيراً في الطبقة الواعية التي كانت تصغي باهتمام إلى الأستاذ الجليل على ما نذكره في الملاحق .

وقد كان من المفروض أن يتجه الدكتور طه حسين إلى مدينة مراكش التي كان جمهورها ينتظره بفارغ الصبر إلا أن ارتفاع درجة الحرارة بعاصمة الجنوب ، وطول المسافة التي كانت تفصل بين الرباط ومراكش ، وعدم اشتغال السيارات آنذاك على المكيف جعلت أعضاء الهيئة المنظمة يذكرون وصية جلالة الملك محمد الخامس أن يشفقوا على الزائر الكريم حتى لا يرهقوه ولا يتعبوه ، الأمر الذي أذعن إليه أدباء مدينة مراكش على مضض .. وإلى الآن يذكرون المناسبة ويرددون قول الشاعر :

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةً      فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتْ !

لقد ظهرت عبقرية الرجل أولا في توزيع المواضيع على العواصم المغربية المذكورة فخاطب كل عاصمة بما كان ينبغي أن تخاطب به ، فهو في الرباط غيره في فاس ، وهو في البيضاء غيره في تطوان .

أريد أن أخلص إلى القول : إن زيارة الدكتور طه حسين لم تكن زيارة سياحة أو راحة ولكنها كانت زيارة عمل وحركة متوالية، فمن محاضرة إلى مناظرة إلى استجواب، وقد كان الدكتور خلال كل ذلك مثل الرجل الذي لا يتعب ولا يمل ، كان يشعر بأنه يؤدي رسالة مقدسة لقوم ينتظرون منه هذه الرسالة ، قمة وقاعدة ، شبابا وشيوخا، ذكورا وإناثا ، فلم يكن هناك حديث إلا عنه وعن فكره النير وقلبه المبصر وحسه المرهف .

كنا نحس أنه يعطى كل ما عنده وبكل إخلاص ، وكنا ندرك أن الناس كانوا يتلقون أطاريحه على أنها أطاريح سليمة مسلمة ، ولذلك كانوا يتوقون إلى زيارة لاحقة استجابة لرغبة مريديه .

وإذا جاز لي أن أتحدث عن أثر هذه الزيارة التاريخية في نفسي فإنني أذكر بحق أنها كانت بالنسبة إلى منعطفها هاما في حياتي ، فقد أقنعنا الرجل بأن القاعدة العلمية التي اعتمدنا عليها في جامعة القرويين ، بالرغم من أنها القاعدة الأساس ، لكنها بحاجة إلى تأييد ، ولا بد من الانفتاح على الجامعة العصرية التي تكون بمثابة النافذة المشرعة على العالم الآخر .

وأعترف أنني من هنا أخذت أتوق إلى الالتحاق بجامعة محمد الخامس رغم اعتراض بعض زملائي بجامعة القرويين الذين كانوا يرون في ذلك ، تنقيصاً من قدر القرويين !! وقد شجعني وجود ثلة من الأساتذة المصريين الأجلاء بالرباط من أمثال الأستاذ الدكتور جمال الدين الشيال الذي وجد في مساهمتي بالمؤتمر الثالث للآثار العربية المنعقد بفاس في نوفمبر ١٩٥٩م: حول ( الحروف المنقوشة بجامع القرويين ) ، وجد فيها ما يبرر ذلك <sup>(١)</sup> وأمثال الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي الذي فتح لي قلبه .

وإن نسيت فلا أنسى استقبال الدكتور طه حسين لنا في يناير ١٩٦١م بمكتبته الحافلة المرتبة في بيته ( رامتان ) ، عندما كنت بصحبة الأستاذ محمد الفاسي بمناسبة اجتماع اللجنة الثقافية للجامعة العربية في دورتها الرابعة عشرة التي أذكر أن في صدر الذين حضروها الدكتور أحمد زكي والدكتور أحمد حسن الزيات . كان الدكتور طه حسين وقتها نائبا لرئيس المجمع أحمد لطفى السيد .

---

(١) جامعة الدول العربية : المؤتمر الثالث للآثار في البلاد العربية ، القاهرة ١٩٦١م .



لم أنس ارتياح الدكتور من سماع الأستاذ الفاسي رحمه الله يخبره بالتحاقى بجامعة محمد الخامس وتشجيعى على رسالتى لنيل دبلوم الدراسات العليا<sup>(١)</sup> التى كانت مفتاحى للالتحاق بجامعة الإسكندرية التى كان لها تاريخ بارز معروف مع الدكتور طه حسين<sup>(٢)</sup> .

ذكرت كل هذا الحديث اعترافا بالجميل الذى أسدته لبلادنا زيارة الدكتور طه حسين التى، كما قلت منذ البداية ، لم تكن زيارة نزهة بقدر ما كانت رحلة علمية ، دامت أسبوعين وعملت على صحوة الطبقة المثقفة وتوعيتها بماضيها وتنبئها إلى ضرورة الأخذ بمعالم الطريق الذى يضمن لها الحفاظ على ذلك الماضى حتى تواكب الركب العالمى .

لقد مرت أربعون سنة كاملة على سماعى محاضرات الدكتور طه حسين وما تزال إلى الآن ترن فى أذنى بوقع جرسها وقوة دلالتها وأناقة كلماتها . لقد أخذتني إليه أخذا لم أستطع أن أحمى نفسى من التمثل بها والاسترشاد بأسلوبها ...

وإنى لأغتتم هذه الفرصة لتقديم التوصية بتعميم المحاضرات المسجلة بصوته على المؤسسات الجامعية باعتبار تلك المحاضرات تراثا مسموعا يعلم الناس كيف يخرج الحروف ينطقون ، ولأفكارهم يرتبون ولألفاظهم ينمقون ، ولمستمعهم يحمضون<sup>(٣)</sup> ويطرفون ، وبانصرافهم يشعرون ويودعون !

د. عبد الهادى التازي

(١) طبعت هذه الرسالة التى كانت حول تاريخ ابن صاحب الصلاة بإشراف الدكتور أحمد مختار العبادى عام ١٩٦٣م ثلاث مرات ١٩٦٤م بيروت - ١٩٧٩م بغداد - ١٩٨٧م بيروت .

(٢) هنا سعدت بنيل درجة الدكتوراه عام ١٩٧١م عن رسالتى حول تاريخ جامع القرويين بإشراف د. العبادى ، وقد طبعت فى بيروت ١٩٧٢م ، وقد كنت أشعر بالغبطة وأنا أرتدى ( روبر ) جامعة الإسكندرية التى كان الدكتور يرتادها .

(٣) يُحمِضُونَ : يُفيضون فيما يؤسهم من الحديث والكلام .



## الملاحق

الملحق الأول : محاضرة الرباط الخميس ٨ من ذى الحجة ١٣٧٧هـ الموافق  
٢٦ من يونيو ١٩٥٨ م .

الملحق الثاني : محاضرة الدار البيضاء الاثنين ١٢ من ذى الحجة الموافق ٣٠ يونيو  
١٩٥٨ م .

الملحق الثالث : محاضرة فاس الخميس ١٥ من ذى الحجة ١٣٧٧هـ الموافق  
٣ يوليه ١٩٥٨ م .

الملحق الرابع : محاضرة تطوان الأحد ١٨ من ذى الحجة ١٣٧٧هـ الموافق  
٦ يوليه ١٩٥٨ م .

الملحق الخامس : قصيدة الشاعر الحلوي بفاس يوم ١٤ من ذى  
الحجة ١٣٧٧هـ الموافق ٢ يوليه ١٩٥٨ م .

الملحق السادس : استجوابه مع مجلة الإذاعة الوطنية العدد الأول  
يوليه ١٩٥٨ م .

الملحق السابع : مقال للدكتور نشرته جريدة الجمهورية في عددها ليوم  
٢٩/٧/١٩٥٨ م .

الملحق الثامن : مذكرات بقلم السيدة حرمه عن زيارته للمغرب .

الملحق التاسع : معرض لبعض اللقطات والقصاصات .

تنبيه :

لم تفتنى استشارة ما كتب بالمشرق ، وبخاصة مجلة الهلال ، العدد الخاص  
بالدكتور فبراير ١٩٦٦م - ١٣٨٥هـ ، ومجلة ( الحديث ) عدد يولييه  
١٩٥٨م ، وكذلك كتاب حول طه حسين تأليف الدكتور حمدي السكوت  
والدكتور مارسدن جونز ، طبعة دار الكتاب المصري اللبناني ١٤٠٢هـ -  
١٩٨٢م ، وأخيراً المحاضرة التي ألقاها الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس  
مجمع اللغة العربية مساء يوم الاثنين ١٥ من ذى القعدة ١٤١٧هـ الموافق ١٤  
من مارس ١٩٩٧م تحت عنوان ( طه حسين المجمعي ) بقاعة الاجتماعات  
الكبرى بدار المجمع بالزمالك ...

الملحق الأول

نص محاضرة الرباط للدكتور طه حسين

في موضوع

"الأدب العربي ومكائنه بين الآداب العالمية"

سیدی صاحب السمو الملكي ، سادتی ،

أحب قبل كل شيء أن أؤدي مهمةً ليس شيء أحب إلى من أدائها ، وهي أن أحمل إلى حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم محمد الخامس ( تصفيق ) وإلى صاحب السمو الملكي الأمير الحسن ولي عهد الدولة المغربية ( تصفيق ) وإلى الشعب المغربي كله تحية ملؤها الود الصادق والحب العميق والإجلال والإكبار وتقدير الجهد العنيف الخصب الذي بذل في تحقيق الاستقلال المغربي ، وهذه التحية أوديتها إلى المغرب: إلى جلاله مليكه وإلى ولي عهده وشعبه الكريم وعن الجمهورية العربية المتحدة كلها ( تصفيق ) : من رئيسها جمال عبد الناصر ( تصفيق ) عن حكومتها وعن شعبها العربي الذي إنما يجيا بالعروبة وللعروبة وإعزاز العروبة في أي مكان من أماكنها ( تصفيق ) ، وهذه التحية التي تصدر من أعماق القلب العربي في المشرق إلى القلب العربي في المغرب ، ليست تحية تؤدي بأطراف الألسنة ، وإنما اللسان فيها مترجم عن القلوب ، وإني لأرجو أن تبلغ هذه التحية أسماعكم ثم لا تستقر فيها وإنما تستقر في أعماق قلوبكم ودخائل ضمائركم وأن تشعروا بأن الجمهورية العربية المتحدة إنما تحييكم تحية الصديق المخلص للصديق المخلص .

أما بعد فإني أعتذر من أن أتحدث إليكم حديثاً لست أدري أيروقكم أم لا يروقكم ، ذلكم لأنني لا أتحرى ، حين أتحدث ، إرضاء الذين يسمعونني ، بمقدار ما أتحرى إشعارهم بما يجب عليهم للأدب العربي وللأمة العربية كلها ، وإذا لم يرقكم بعض ما سأقوله في هذا الحديث فمعدرتي إليكم هي أنني لست من الذين يقنعون بالقليل في كل ما يتصل بالحياة العقلية ، فقد أكون من أنصار

القناعة بالقليل فيما يتيح الله لي من أسباب الحياة ، أما فيما أطمح إليه في حياتنا العقلية فإنني لا أرضى أبدا ولا أطمئن مطلقا وإنما أنا قلق دائما ومثير للقلق حينما كنت . وأنا حريص أشد الحرص ، على أن تشعر الأمة العربية كلها بأنها مهما تحققت من نهضة ومهما تبلغ من رقي في حياتها العقلية فإنها ستظل دائما بعيدة عما ينبغي لها من النهضة الصحيحة والرقي المؤكد والوصول إلى المثل الأعلى في تقوية الحضارة وتنميتها وإغناء العالم الإنساني كله ومشاركته فيما ينبغي أن تكون عليه الحياة الإنسانية من تقدم ورقي وازدهار .

وأريد أن أحدثكم الليلة عن " الأدب العربي وعن مكانته بين الآداب العالمية " . وهو موضوع - كما ترون - يشعر بشيء كثير من وجوب الاحتياط في القول . فالعالم الآن بما بلغ من التقدم ، وبما وصل إليه من الرقي ، وبما انتهى إليه من هذا التطور الغريب ، وبما وصلت إليه الاختراعات الحديثة ، هذا العالم عندما ننظر إليه ، وننظر إلى ما وصلنا نحن إليه في بلادنا العربية ، نشعر بالمسافة البعيدة التي تفصل بيننا وبين ما نحب أن نكون . والشيء الذي يعزينا ولكنه لا ينبغي أن ينسينا واجبنا ، هو أن أدبنا العربي قد مرت عليه أطوار ، نستطيع فيها، بحق عندما نتحدث عنها ، أن نقرر أن هذا الأدب كان هو الأدب العلي الممتاز في عصر من عصوره . ذلك لأن هذا الأدب العربي لم يكذب يخرج من جزيرة العرب بعد ظهور الإسلام وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى انتشر انتشارا رائعا وخطيرا حقا .

ولست أعرف في اللغات القديمة لغة بلغت ما بلغته اللغة العربية من القوة والأيد ومن السعة والانتشار ومن القدرة على السيطرة على العالم القديم في



أكثر أجزائه، وقد كانت قبل اللغة العربية لغات قديمة أخرى انتشرت في الشرق وسيطرت على سياسته وإدارته وثقافته ، ولكنها لم تبلغ في أى وقت من الأوقات أعماق الشعوب الشرقية ، ولم تستطع أن تغير من نفوس الشرقيين ولا أن تغير من لغاتهم شيئاً، وإنما فرضت نفسها هذا الفرض السياسى المعروف فكانت لغة الحكام ، وكانت لغة الإدارة ، وكانت لغة الثقافة الرسمية ، وظلت الشعوب مع ذلك تتكلم لغاتها الخاصة ، وتتوارث آدابها الخاصة ، لم تغير لغتها، ولم تتخذ هذه اللغات القديمة المسيطرة لغات لها . فالأمة اليونانية فرضت لغتها على الشرق عشرة قرون ، منذ عهد الإسكندر إلى الفتوح العربية . وكان الحكام في أول أمرهم من اليونانيين ، وكانت إدارة البلاد الشرقية ، ولا سيما مصر والشام وما إليها ، كانت الإدارة فيها يونانية ، وكانت اللغة الإدارية والسياسية هي اللغة اليونانية ، وكانت لغة الثقافة الرسمية في المدارس وفي المعاهد وفي الأديرة - بعد انتشار المسيحية - هي اللغة اليونانية . ولكن الشعوب التي كانت تسكن هذه البلاد الشرقية ظلت محتفظة بلغاتها الخاصة . فكان المصريون محتفظين بلغتهم القبطية وكان السوريون وأهل الجزيرة والعراق محتفظين بلغاتهم السامية الآرامية وما يتفرع منها ، ولم تستطع هذه اللغة اليونانية أن تؤثر في هذه اللغات ولا أن تحول الشعوب عن لغاتها بحال من الأحوال .

وجاء الرومان بعد اليونان ، ولغتهم اللاتينية لم تستطع أن تنتشر في الشرق بحال من الأحوال ، وإنما كان الحكام من الرومانيين ، وكانت لغة الإدارة والسياسة والثقافة هي اللغة اللاتينية ، وظلت الشعوب مع ذلك محافظة على لغاتها الموروثة ، وعلى آدابها الموروثة ، وعلى تقاليدھا كلها ، إلى أن جاءت

اللغة العربية بعد الفتح الإسلامي ، ودون أن يتخذ السلطان العربي أى قوة لفرض هذه اللغة ، ودون أن تتخذ الحكومات العربية على اختلافها أى إجراء لحمل الشعوب على أن تتكلم اللغة العربية ، ننظر ، فإذا هذه اللغة العربية تنتشر شيئاً فشيئاً ، ولكنها تنتشر ، على ذلك - فى سرعة مدهشة، ولا تلبث أن تصبح هى اللغة العامة لكل البلاد التى فتحها المسلمون ، فى شـرقى الدولة الإسلامية وغربها .

فى شرقى الدولة الإسلامية : فى بلاد إيران ، وفى جزء من بلاد الهند كل هذا القسم كان يتكلم اللغة العربية ويكتب بها ، ويحاول أن يغالب العرب عليها . وفى المغرب ، وفى الشام وفى مصر وشمال إفريقيا ، وفى الأندلس كذلك غلبت اللغة العربية كل اللغات التى كانت منتشرة فى كل هذه البلاد ، وأصبحت هى لغة الحديث ، وهى لغة الثقافة ولغة الدين .

ولأجل أن تتبينوا أن هذا لم يأت بقوة الحكومة ولا بتدخل السلطان ، أحب أن أذكركم بمثل بسيط جداً ، وهو أنه فى القرن الثالث ، فى مصر ، كان كثير من القضاة يتعلمون اللغة القبطية ، ليستطيعوا أن يفهموا الخصوم إذا اختصموا إليهم وأن يقضوا بينهم . هذا يعطىكم فكرة واضحة عن موقف الحكومة ، وموقف السلطان بالقياس إلى انتشار اللغة العربية . فاللغة العربية قد انتشرت وحدها بقوتها الخاصة ، وبقوة الإسلام وقوة القرآن الكريم . بهذه القوة وحدها استطاعت اللغة العربية أن تكون لغة عالمية لأول مرة فى التاريخ الإنسانى، لغة عالمية بأوسع معانى هذه الكلمة ، يتكلمها الفرس ويتكلمها جزء غير قليل من الهند وتتكلمها بلاد الشرق العربى الآن كلها ويتكلمها المغرب

وشمال إفريقيا وتتكلمها الأندلس أيضا ، هذه اللغة أصبحت عالمية بنفسها دون أن تعمل الحكومة شيئا لذلك ، بنفسها من جهة ، وبقوة الإسلام والقرآن من جهة أخرى .

ولأول مرة نجد في التاريخ لغة تنتشر إلى هذا الحد ، فكما قلت لكم قد انتشرت اليونانية في جميع البلاد الشرقية ، ولكنها لم تصل إلى أعماق الشعوب ، ولم تغير لغة من اللغات التي كانت قائمة في تلك الأيام ، في بلاد الشرق . ولكن اللغة العربية غلبت كل هذه اللغات ، غلبتها ، وعمقت شعوبها ، وصلت إلى أعماق الشعوب ، وحولت الألسنة عن اللغات القديمة الموروثة إلى هذه اللغة نفسها، لغة العرب، لغة القرآن الكريم .

والرومانيون استطاعوا أن ينشروا لاتينيتهم في المغرب ، في المغرب الأوروبي: في فرنسا وفي بريطانيا العظمى وفي إسبانيا ، وحاولوا أن يجعلوها لغة منتشرة في شمال إفريقيا ، فلم يفلحوا إلا قليلا جدا .

ولكن اللغة العربية استطاعت أن تقهر اليونانية في الشرق ، وأن تقهر اللغات الشعبية التي كانت منتشرة في هذه البلاد الشرقية ، وأن تقهر اللغة الفارسية نفسها ، ثم أن تقهر اللاتينية في المغرب العربي وفي الأندلس ، وأن تصبح هي اللغة العالمية التي يتكلمها الناس في الشرق والغرب جميعا .

هذه اللغة منذ تم لها هذا الانتشار ، لم تكن لغة حديث فحسب ، ولكنها كانت لغة حديث ، ولغة سياسة ، ولغة إدارة، ولغة الدين . وكانت في الوقت نفسه لغة التفكير والإنتاج الأدبي والعقلي ، وفي أقل من قرنين كانت هذه اللغة قد استطاعت أن تسيغ كل الثقافات التي كانت معروفة في العصور القديمة :

أساغت ثقافة اليونان ، على سعتها وعلى صعوبتها وعلى عمقها ، وأساغت فلسفتهم وعلومهم وطبهم وفنونهم العملية أيضا ، وأساغت ثقافة الفرس ، وثقافة الهند ، وأساغت بعد ذلك الثقافات التي كانت متوارثة بين الأمم السامية، الثقافات التي نشأت عن التقاء الساميين بالأمم المختلفة ، والتي نشأت عن توارث التوراة وتوارث الإنجيل بين تلك الأمم المسيحية في هذه البلاد الشرقية والمغربية . كل هذه الثقافات استطاعت اللغة العربية أن تسيغها وأن تمثلها وأن تجعلها ثقافة عربية . وبعد ذلك جاءت المعجزة الكبرى ، وهي أن هذه اللغة التي انتشرت بهذه الطريقة المدهشة ، والتي أساغت كل هذه الثقافات بهذه الطريقة المدهشة أيضا ، أنشأت أمة جديدة ، هذه الأمة الجديدة قوامها اللغة العربية والدين الإسلامي عند الكثرة ، والمسيحية والإسرائيلية عند القلة . وكل هذه الأمم امتزجت والتأمت وأصبحت أمة واحدة ، هي الأمة الإسلامية العربية، وجعلت عناصرها المختلفة تتعاون على إنشاء هذه الحضارة الإسلامية العليا ، التي لا أعرف أن حضارة أخرى قد سبقتها في عالميتها وفي انتشارها .

(سعال)

فلست أعرف حضارة قبل الحضارة الإسلامية استطاعت أن تنتشر من الأندلس إلى أعماق الهند ، وإنما الحضارة التي انتشرت هذا الانتشار الغريب لأول مرة في تاريخ العالم، هي هذه الحضارة الإسلامية .

في تلك الأيام ، نستطيع أن نقول إن أدبنا كان هو الأدب العربي الممتاز حقاً. وهذا الأدب العالمي الذي لم يكن أدب يساميه في وقته ، سبقته آداب أخرى قديمة : سبقته الآداب اليونانية التي مازالت الإنسانية تعيش عليها إلى الآن ، ولكن



هذه الآداب اليونانية استطاع العالم الإسلامي ، بفضل اللغة العربية ومرونتها وسعتها ، استطاع العالم العربي أن يسيغها وأن يحول هذا الأدب اليوناني القديم أو على الأقل الناحية الفلسفية منه إلى فلسفة عربية، نقلت هذه الفلسفة إلى العربية واستطاع العرب أن يسيغوها وأن يضيفوا إليها من عند أنفسهم وأن ينموها ، وسترون كيف استطاعوا أن ينشروها في أقطار العالم كله، في أقطار العالم الإسلامي والعالم المسيحي، في أوروبا أيضا.

كان هذا الأدب إذن عالميا ، والأدب الجدير بهذا الاسم هو الذي يستطيع أن يأخذ وأن يعطي : يأخذ من الآداب المختلفة ، يتلقى كل ما يمكن أن ينفعه وأن يلائم طبيعته ، فهو لا يعيش معزولا وإنما يعيش متصلا بحياة أمته أولا ، وبحياة الأمم البعيدة الأجنبية ثانيا، يأخذ منها ما استطاع ويعطيها في الوقت نفسه ما يستطيع ، وأنا أريد أن أبين لكم أن أدبنا في هذه العصور القديمة كان هذا الأدب العالمي الذي كان يأخذ ويعطي، والذي أخذ حتى أنشأ حضارة جديدة ، وأعطى حتى أتاح للأوروبيين نهضتهم الأولى. فبفضل المغرب ، وبفضل الأندلس، استطاع الأدب العربي والعلم العربي أن يصل إلى أعماق أوروبا ، وترجم هذا الأدب إلى اللاتينية ، نقله الأوروبيون إلى لاتينيتهم التي كانت لغة العلم والثقافة في تلك الأيام في الغرب الأوروبي ، ترجم إلى اللاتينية وأصبح أساسا للنهضة الأوروبية الأولى التي كانت في القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر والرابع عشر ، وكذلك استطاع هذا الأدب أن يأخذ من اليونانيين في الشرق وأن يأخذ من الفرس والهند ، وأن يأخذ من الأمم الشرقية ، وأن يأخذ من اللاتينيين في الغرب ، فكان المغاربة هنا وفي الأندلس يترجمون من اللغة



اللاتينية إلى اللغة العربية، كما أن المشاركة كانوا يترجمون من اللغات اليونانية إلى اللغة العربية ومن اللغة الفارسية والهندية أيضا إلى اللغة العربية .  
بهذه الطريقة لم يكن أدبنا مقصورا على الأمة العربية التي كانت تتكلمه ،  
وإنما شاع وانتقل منها إلى أمم أخرى . ولم يكن معزلا عاكفا على نفسه ،  
وإنما كان شائعا ينفع الإنسانية كلها : من كان يعيش في ظل اللواء الإسلامي  
ومن كان يعيش بعيدا عن هذا اللواء .  
وقد يقال: إن الأدب العربي تأثر بهذه الآداب القديمة التي نقلها، وليس في ذلك أى  
عيب.

فكل أدب جدير بهذا الاسم يجب أن يأخذ وأن يعطى وأن يتأثر وأن  
يؤثر، وإذا رأيتم أدبا يعيش معزلا لا يأخذ ولا يعطى ، ولا يتأثر ولا يؤثر ،  
فثقوا بأنه أدب ميت، أو أدب مقضى عليه بالموت القريب . إنما الأدب الحى هو  
هذا الذى يعيش متصلا بالآداب الأخرى يأخذ منها ما يلائم طبعه ومزاجه ،  
ويعطى من ذات نفسه ما ينفع الناس ، ويزيد الحضارة قوة وانتشاراً .  
ولسنا ننكر أن أدبنا العربي تأثر بالآداب والفلسفة اليونانية بعد نقلها ،  
ولسنا ننكر أن هذا قد كان له تأثير خطير جدا في حياة الأدب العربي أثناء  
العصر العباسى ، وفي المغرب في العصور المتأخرة بدءا من القرن الرابع فما بعده،  
لا ننكر شيئا من هذا، وقد يقال إننا تأثرنا بالآداب الفارسية ، ولكنى لا أعرف  
أن الفرس أثروا في آدابنا تأثيرا ذا خطر . كل ما ترجم إلى لغتنا العربية عن  
الفرس كانت هذه الطائفة من الحكم التي نجدها في كليلة ودمنة ، والتي نجدها  
في بعض ما كتب ابن المقفع ، والتي نجدها في بعض شعر أبي العتاهية ، هذه

الحِكمَ وبعض الأمثال القديمة السائرة التي جاءتنا من الهند ، وجاءتنا من عند  
الفرس ، ترجمت ولكنها لم تؤثر في الأدب العربي تأثيرا عميقا ، كما أثر الأدب  
اليوناني . فالأدب اليوناني أثر في تصور الشعراء وفي خيالهم ، وبفضل هذا  
الأدب اليوناني وجد شاعر مثل أبي تمام ، وبفضل هذا الأدب وجد شاعر مثل  
ابن الرومي ، وبفضل هذا الأدب وجد شاعر مثل المتنبي ، ومثل أبي العلاء ،  
أولئك الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية وظهرت آثار الفلسفة اليونانية في شعرهم ،  
إما في صور الشعر كما عند أبي تمام ، وإما في جوهر الشعر كما هي الحال في  
كثير من شعر المتنبي ، وفي شعر أبي العلاء الفيلسفي كله ، وأحيانا تؤثر في  
الصورة وفي الجوهر كما هي عند ابن الرومي ، فابن الرومي كان شديد التأثر  
بالأدب اليوناني: في صوره الأدبية وفي أدائه اللفظي نفسه وفي بعض معانيه ،  
وفي معانيه الفلسفية بنوع خاص ، وهو أول الشعراء الذين أظهروا التشاؤم في  
الأدب العربي .

أما الفرس فلم يؤثروا في هذا الأدب العربي لسبب بسيط ، هو أن أدب  
الفرس القديم لم يكن ذا خطر ، وإنما كانت عندهم طوائف من الأحكام  
الإدارية ، وهذه الأحكام الإدارية والسياسية هي التي تأثر بها العصر العباسي  
وحده ، ولكن الأدب العربي نفسه لم يتأثر بشيء ذي بال من الآداب الفارسية ،  
لأن هذه الآداب الفارسية لم تكن نفسها ذات خطر ، وعلى عكس هذا عندما  
استرد الفرس قوتهم في القرن الرابع للهجرة ، وعندما عدلوا عما كانوا قد ألفوا  
من اتخاذ اللغة العربية لغة لهم في حياتهم وفيما كانوا يكتبون ، وأرادوا أن يكتبوا  
بلغتهم الفارسية الإسلامية الجديدة ، عندما عادوا إلى لغة فارسية خاصة ، لم

تستطع هذه اللغة الفارسية الإسلامية أن تقهر اللغة العربية في بلاد الفرس أنفسهم ، فكثير من علماء الفرس كانوا يأنفون من كتابة العلم باللغة الفارسية ، ويأبون أن يكتبوه إلا باللغة العربية ، ونرى عالما من كبار علمائهم كالزمخشري ينازعهم أشد المنازعة في مقدمة كتابه في النحو : ( كتاب المفصل في النحو ) ينازعهم أشد المنازعة في الكتابة باللغة الفارسية ، ويأبى إلا أن تكون الكتابة باللغة العربية ويرى أن الفارسية لا تستطيع أن تؤدي المعاني التي تؤديها اللغة العربية . وبالفعل عندما أراد الفرس أن ينشئوا لأنفسهم أدبا فارسيا إسلاميا لم يستطيعوا أن ينشئوا نثرا فارسيا إلا في العصر الحديث ، أما قبل العصر الحديث فالأدب الفارسي كله شعر ، وهذا الشعر الفارسي الإسلامي ألفاظه فارسية ، وتكثر في تضاعيفها ألفاظ عربية ، وربما يأتي في أثناء الشعر الفارسي بيت من الشعر العربي ، وأوزان الشعر الفارسي كله إنما هي أوزان الشعر العربي . استعاروا منا أوزان الشعر العربي وقالوا شعرهم الفارسي مرة في بحر المتقارب ، ومرة في الرمل ، ومرة في أي بحر آخر من بحور الشعر الأخرى العربية . وأذكر أني سمعت بعض الناس ينشد شعرا فارسيا فيبتدئ بإنشاد هذا الشعر على هذا النحو :

أدرِ كأسا وناولها  
ولي أفتاد مشكلها

ألا يا أيها الساقى  
كبه عشق أسان تُمود أول

البيت الأول هو بيت من الشعر العربي القديم :

" ألا يا أيها الساقى أدرِ كأسا وناولها "

البيت الثاني معناه " العشق في أوله يسير سهل ولكنه لا يلبث إن تم ، حتى تنشأ مشكلاته. ( ضحك ) .

كذلك كان الشعر العربي ، وكذلك كان الأدب العربي في هذا الطور من حياتنا، هو الأدب الممتاز في العالم الإنساني في تلك الأيام ، وكان هو المرجع للأمم الأوروبية التي كانت تريد أن تسترد حظها من الحضارة بعد أن فقدت حضارتها اللاتينية القديمة، ولكن الظروف تتغير ، والأطوار تختلف ، والخطوب يتبع بعضها بعضا . وقد جعلت هذه الخطوب تتوالى على الأمة العربية ، وبدأت بتحول الحكم في الشرق على الأقل من العرب إلى أمم أجنبية : إلى الفرس أولا وإلى التحكم التركي ثانيا ، ثم إلى الفرس بعد ذلك ، ثم إلى الترك آخر الأمر ، ثم تأتي الدولة التركية العثمانية فتسيطر على الشرق العربي كله وعلى جزء من شمال إفريقيا . ومن حسن الحظ أنها لم تصل إلى المغرب ولم تسيطر عليه !

وأخص ما يجيى الأدب هو الاتصال بين الأمم صاحبة هذا الأدب وبين الأمم الأخرى ، ومن أجل ذلك لم يكد الترك العثمانيون يسيطرون على العالم العربي حتى قطعوا كل صلة بين العالم العربي وبين الخارج ، وفرضوا على هذا العالم العربي أن يعتزل وأن يعكف على نفسه ، لا يتصل بالعالم الخارجى في أوروبا ، ولا يكون له أى اتصال حتى بين أجزاء العالم العربي نفسه . قطعت الصلات بين الأمم العربية وبين العالم الخارجى ، واضطرت الأمم العربية إلى أن تعكف على نفسها ، وجعل الأدب العربي يضعف قليلا قليلا ، ثم دهم العالم العربي بخطوب أخرى : خطوب التتار في الشرق، وخطوب الصليبيين وخطب الدولة العثمانية ، كما قلت ، فكان هذا هو الذى أضعف اللغة العربية وأضعف



آدابها ، واضطرها إلى أن تصبح تعيش كما تعيش الجذوة تحت الرماد ، ولولا أن الله أتاح لجزأين من العالم حظا من الاستقلال ومكن لهذين الجزأين من حماية الأدب العربي والتراث الإسلامى لضاعت هذه الآداب .

وانظروا إلى حال الأمة العربية تحت تأثير التتار والترك بعد ذلك ، الـترك العثمانيين، وإلى الأمة العربية فى المغرب ، فى إسبانيا ، تحت تأثير العناصر المسيحية التى أخرجت العرب وأخرجت الإسلام من إسبانيا ، إنما أتاح الله هذين الجزأين : المغرب الأقصى فى العالم الغربى العربى ، وسوريا ومصر فى العالم الشرقى العربى ، بفضل هذين الجزأين من العالم العربى حفظ التراث الإسلامى ، حفظ التراث فى الكتب، وفى المكتبات ، وفى المساجد ، وحفظ التراث فى المساجد التى كانت تعلم اللغة والدين والعلوم الإسلامية ، حفظ هذا التراث فى هذه الأجزاء من العالم العربى فى سوريا وفى مصر فى الشرق، وفى المغرب الأقصى، فى القسم الغربى من العالم الإسلامى .

ثم يأتى هذا العصر، قبل هذا العصر الحديث كان التراث محفوظا ولكنـه كان نائما، وكان مهملا ، لم يكن أحد يلتفت إليه تقريبا ، وكان كما قلت لحضراتكم كالجذوة التى تعيش تحت الرماد لم تنطفئ ولكنها لا تنشر لهبها ولا تنشر نورها وإنما تظل مستورة تحت الرماد ، هذا العصر الحديث عندما جاء ، وجدنا أدبنا العربى قد فقد كل قوته القديمة التى صورثها لكم الآن ، وفقد عالميته وأصبح أدبا محليا ، أصبح هناك أدب فى مصر ، وأدب فى سوريا ، وأدب فى العراق ، وآخر فى تونس وفى المغرب ، وهكذا ، ولكن هذه الآداب كلها كانت آدبا محلية كما يقال، لا تتجاوز حدود البلاد العربية إلى العالم الخارجى .



وفي أثناء هذه العصور الوسطى التي قُضي فيها على الأدب العربي بهذا الخمود، قويت أوروبا، قويت بفضل النهضة الأولى التي أتاحها لها الأدب العربي ، ثم قويت بفضل النهضة الثانية التي أتاحت لها بعد سقوط القسطنطينية في يد الترك العثمانيين ، قويت أوروبا ، وخطت خطواتها البعيدة في سبيل رقى الأدب ورقى العلم ، وكنا نحن في غاية الضعف وفي غاية الخمود، وكذلك تسرون الواجب الخطير الذي يجب أن نثبت له وأن نهض به ، وأن نؤديه لأنفسنا أولاً ، ولتراثنا العربي القديم ثانياً ، وللإنسانية آخر الأمر .

هذا الواجب بسيط في ظاهره ، ولكنه ثقيل وخطير عندما نحقق النظر فيه ، هذا الواجب هو إحياء هذا التراث القديم من جهة ، وأن نضيف إليه من عند أنفسنا - من جهة أخرى - لنزيده وننميه ونقويه ، ونرد إليه مكانته العالمية ونجعله أدباً لا ينتفع به أصحابه وحدهم ، وإنما ينتفع به أصحابه وينتفع به العالم الخارجي على اختلاف أجناسه وعلى اختلاف حضاراته . هذا الواجب في ظاهره بسيط ، ولكنه عندما نحقق النظر فيه خطير جداً وثقيل جداً ، فهو يحتاج أولاً إلى أن ننشر كل هذا التراث المكس في المكتبات ، في أقطار العالم العربي ، ننشره ونفسره ثم نضيف إليه من عند أنفسنا أدباً حديثاً جديداً لا تنقطع صلته بالأدب العربي القديم ، ولكنها تتصل به من جهة ، وتزيد عليه وتضيف إليه من جهة أخرى ، ولا ينبغي أن نعيش في هذه العزلة التي نعيش فيها الآن ، أو نوشك أن نعيش فيها ، لا ينبغي أن نعيش في هذه العزلة ، نستعير كل ما نحتاج إليه من الحضارات الأخرى الغربية في أوروبا وفي أمريكا، ولا يستعير أحدٌ منا شيئاً . فنحن بهذه الطريقة نرضى لأنفسنا أن نكون عيالاً على الغرب ، وما

عهد العرب في أنفسهم أن يكونوا عيالاً على أحد في وقت من الأوقات (تصفيق) . كانوا يأخذون من اليونان ، ومن الفرس ، ومن الهند ، ومن أمم أخرى كثيرة ، ولكنهم كانوا يعطون ، فلنأخذ من الغرب إذن ، ولكن يجب أن نأخذ منه وأن نعطيه . هذا هو الواجب الذي فرض علينا أن ننهض به . وما أشك في أننا قادرون إن أردنا، وإن صممنا ، وإن أمضينا عزيمتنا وإن ذكرنا قول الشاعر القديم:

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ وَنَكَبَ عَن ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِباً

والذي أتاح لنا أن نجاهد ، وأتاح لنا أن نكافح ، وأتاح لنا أن نصارع الأجنبي لنستخلص منه استقلالنا السياسي في الشرق، وفي المغرب وفي الغرب، هو الذي سيتيح لنا أن نجاهد وأن نكافح، لنرد إلى أدينا العربي حياته وقوته ونشاطه، ولكننا لن نجاهد ولن نكافح أجنبياً في هذا السبيل ، ولكننا سنجاهد أنفسنا وسنحمل أنفسنا على ما تريد وعلى ما لا تريد ، لنصل إلى تحقيق هذه الغاية .

وإني لأسعد الناس بأن أشرف بإلقاء هذه المحاضرة بين يدي صاحب السمو الملكي وبين أيديكم ، لأنني أرى في جلالته الملك وفي سمو ولي العهد رمزا أي رمز لهذا الكفاح ، ولهذا الجهاد . وإذن فعندما أدعو إلى النهوض بهذا الواجب الخطير الثقيل الذي تفرضه علينا كرامتنا ، أثق بأن سمو الأمير ولي العهد خير من يستمع لهذه الدعوة، وخير من يستقبلها كما ينبغي أن تستقبل ، وخير من يعين على إحياء الأدب في المغرب . وسيشارك في إحياء الأدب العربي في جميع أقطار العروبة كلها ، وأنا أجدد لسموه ولحضراتكم أصدق الشكر وأخلص التحية .

( تصفيق حار وطويل )

## الملحق الثاني

نص محاضرة الدامر البيضاء للدكتور طه حسين  
حول "الأدب العربي في مصر قديما وحديثا"

سيداتي ، سادتي !

أرجو قبل كل شيء أن تفضلوا فتقبلوا تحية العروبة الشرقية ترسلها إلى العروبة المغربية صادرة عن أعماق القلب وعن دخائل الضمائر ، وأرجو أن تتقبلوها على ألا تستقر في أسماعكم ، كما قلت في الرباط وإنما تمر في أسماعكم لتستقر في أعماق قلوبكم كما صدرت من أعماق قلوب إخوانكم في الجمهورية العربية المتحدة . ( تصفيق ) .

وإني لحريص على أن أشكر أجمل الشكر وأصدقه للسيد الوزير ومدير الجامعة الآن ، أشكر له أجمل الشكر وأصدقه هذه التحية الكريمة التي تفضل بها ، وأعترف وأشهد أني منذ وصلت إلى بلاد المغرب لم أجد فيها إلا أحسن لقاء وأحسن ترحيب ، لقاء الإخوان للأخ وترحيب الإخوان بالأخ الصديق . ومع ذلك فلست أوافق الأستاذ الوزير على ما قال من أن المغرب تلمذ لمصر ، فالذي أعرفه أن علومكم وصلت إلينا وأن علماءكم وصلوا إلى بلادنا، منهم من استقر في الإسكندرية وأقرأ تلاميذ من المصريين والشرقيين ، ومنهم من استقر في القاهرة وأقرأ التلاميذ في الأزهر الشريف ، فإذا كان هناك أساتذة وتلامذة فأنتم الأساتذة ونحن التلاميذ . ( تصفيق )

وأنا أحب أن تعرفوا شيئا عن إخوانكم في الجمهورية العربية المتحدة وعن حياة الأدب فيها أثناء هذا العصر الحديث لا لأني أريد أن أحدثكم عن نهضة الأدب هناك ، ولكن لأني أريد أن تعرفوا إخوانكم وأتمنى إن شاء الله أن يزورنا الأستاذ الوزير وغيره من قادة الفكر في هذه البلاد ليتحدثوا إلى المصريين والسوريين عن إخوانهم من أهل المغرب فإن الزيارة لا بد من أن ترد وأنا



أزوركم الآن وأنتظر أن يرد قادة الفكر هذه الزيارة ، والذين سينعمون برد هذه الزيارة لن أكون أنا وحدي في استقبالهم لكن سيكون جميع المصريين والسوريين إن شاء الله ( تصفيق )

عندما وصل الفرنسيون إلى مصر في أواخر القرن الثامن عشر كان الأدب العربي في مصر قد أدركه ضعف شديد وكان قد بلغ من الضعف أن أصبح لا يكاد يصور شيئاً وأصبح ألفاظاً يضم بعضها إلى بعض ويعبث بها الكتاب والشعراء يتخذون هذه الألفاظ تعلقة لهم تغنيهم عن المعاني التي ينبغي للأدب أن يؤديها ذلك لأن القرية العربية في تلك الأيام كانت قد نضبت وأدركها خمود شديد جدا ، ومصدر ذلك أن حياة الأدب رهينة بأن تتصل البلاد بعضها ببعض. وقد أقبل الترك العثمانيون على مصر في القرن السادس عشر فقطعوا كل صلة بينها وبين العالم الخارجي ، قطعوا الصلة بينها وبين العالم العربي شرقا وغربا ، وقطعوا الصلة بينها وبين العالم الغربي الأوروبي وكانت قبل الغزو العثماني متصلة بالعالم العربي في الشرق وفي الغرب ومتصلة بالعالم الأوروبي المسيحي بواسطة التجارة وبواسطة المعاهدات السياسية ، وما إلى ذلك ، فكان الأدب في تلك الأيام ، قبل الغزو العثماني، له حظ من حياة مهما تكن فقد كانت قوية خصبة منتجة ، وما أكثر ما يقال عن عصر المماليك في مصر وسورية ، فكثير من الذين يؤرخون الأدب يقولون : إن هذا العصر قد كان عصر ضعف وخمود لجذوة الأدب العربي ، ولكننا عندما نحقق النظر في شؤون الأدب في سورية وفي مصر أيام المماليك نرى أن الشعر إن كان أمره قد ضعف فقد كانت هناك نهضة أدبية خطيرة هي التي حفظت على الشرق تراث الإسلام

بعد أن تعرض للخطر العظيم الذى أثاره التتار عندما غزوا العراق وعندما أضاعوا ما أضاعوا من الكتب ، وأهدروا وهدموا ما هدموا من الحضارة الإسلامية فى العراق . كانت سورية وكانت مصر هما الملجأ الذى لجأ إليه التراث الإسلامى ، ونهض السوريون والمصريون يقرؤون ما لجأ إلى سورية ومصر من هذا التراث ويجمعونه ويدونونه فى كتب ضخمة تذكرنا بدوائر المعارف أو "الأنسكلوبيديات" فى هذه الأيام ، فنرى "النويرة" يؤلف "نهاية الأرب" فى نحو ثلاثين مجلدا ونرى "العمري" يؤلف "مسالك الأمصار" ، ونرى القلقشندي "يؤلف" "صبح الأعشى" ، ونرى "ابن منظور" يؤلف "لسان العرب" ونرى غير هؤلاء ، نرى ابن حجر فى الفقه والحديث وتلاميذ ابن حجر ، ونرى آخر الأمر "السيوطى" وما أكثر ما جمع السيوطى من الكتب القديمة فى كتبه التى ألفها وملأ بها البلاد الشرقية . فى أثناء هذه النهضة التى إن لم تكن أدبية خالصة فقد كانت نهضة علمية ، وإلى جانبها كانت نهضة فنية يراها كل من زار القاهرة وكل من زار دمشق ورأى ما فى المدينتين من الآثار الإسلامية ومن المساجد .

فى أثناء هذا أقبل الترك العثمانيون على مصر فهدموا الحضارة الإسلامية فى الشرق العربى كما هدموا الحضارة البيزنطية فى قسطنطينية ، وجرى هذا كله فى أقل من قرن واحد ، هدموا هاتين الحضارتين ولم يؤتوا العالم حضارة تقوم مقام إحداهما ، فضلا على أن يؤتوا العالم حضارة تقوم مقام الحضارتين جميعاً .

وضعف أمر الأدب العربى فى مصر وفى سورية ولولا بقية من الدراسات فى الأزهر وفى بعض المدارس لنسى الأدب العربى نسياناً تاماً . أثناء هذه القرون

الثلاثة ، من القرن السادس عشر إلى أوائل القرن التاسع عشر ، ظل الأدب العربي أشبه شيء بالجدوة التي تكاثر عليها الرماد فهي محتفظة بقوتها ومحتفظة بما فيها من القدرة على الانتشار والإضاءة ولكن الرماد عليها قد تكاثر وتكاثر حتى أصبحت خامدة أو كالخامدة لا ينطبق لها ولا يُشرق نورها ، وأصبح كتابنا في تلك الأيام يبدئون ويعيدون في ألفاظ مزوقة منمقة لا تؤدي شيئاً ، ولكنها تخدع أصحابها الذين يكتبونها، وتخدع الذين يقرؤونها ، وتخيل إلى أولئك أنهم يكتبون شيئاً وإلى هؤلاء أنهم يقرؤون شيئاً ! والحقيقة أن أولئك وهؤلاء لم يكونوا يكتبون ولم يكونوا يقرؤون . وإنما كانوا غارقين في شيء يشبه هذيان المحموم ، كذلك كانت حياة الأدب ، أيها السادة ، في ذلك العصر التركي العثماني .

فعندما أقبل الفرنسيون إلى مصر ، يخيل إلى أنهم طرقتوا باب العروبة المصرية طرقتاً عنيفاً ، أيقظ النيام ، فهم قد أقبلوا بأشياء لم يكن المصريون يقدرون أنها موجودة . وهم قد عرضوا على المصريين ألواناً من العلم وألواناً من النشاط لم يكن المصريون يعرفون أنها يمكن أن توجد في بلد من البلاد ، عرضوا عليهم - أول ما عرضوا - المطبعة . وكان المصريون لا يعرفون إلا أن الكتب تكتب بالأيدى وتستنسخ وتذاع على هذا النحو البسيط الضئيل . فلما رأوا عمل المطبعة ونشر الآثار والمكتوبات دهشوا لهذا أشد الدهش ، ثم عرضوا عليهم بعض التجارب العلمية: تجارب الكيمياء والطبيعة فخيّل إلى الذين رأوا هذه التجارب أن هؤلاء الفرنسيين كانوا أصحاب سحر لا أصحاب علم ، وكذلك استيقظ المصريون استيقظوا وقاوموا الفرنسيين أشد المقاومة حتى أدرك

الفرنسيون أن لا مقام لهم بأرض مصر فزالوا عنها ولم يقيموا فيها إلى ما يقرب من ثلاثة أعوام. زالوا عنها ولكنهم كانوا قد أيقظوها وقد نبهوها إلى أنها كانت بمعزل من حياة قوية نشيطة ، توجد في بعض البلاد . ومنذ أوائل القرن الماضي بدأ المصريون يرسلون أبناءهم إلى الخارج ، يرسلونهم إلى إيطاليا وإلى فرنسا وإلى بريطانيا العظمى ، ليعلموا علم هذه البلاد ، وليتعلموا في مدارسها وجامعاتها وليعودوا بما تعلموا لينشروه في بلادهم ، وكثرت هذه البعثات التي كانت تسافر إلى هذه البلاد، وإلى فرنسا خاصة وفي الوقت نفسه انهمزمت جيوش نابليون في أوائل القرن ، وضاق كثير من الفرنسيين ببلادهم هذه المنهزمة ، التي احتلها العدو ، فجعلوا يخرجون من بلادهم ويهاجرون إلى بلاد مختلفة . وجاء فريق منهم إلى مصر فاستغلت مصر مقدم هؤلاء ، استغلت بعضهم في تنظيم جيشها ، واستغلت بعضهم في تنظيم مدارسها، ومنذ ذلك الوقت ، بفضل إرسال البعثات المصرية إلى ما وراء البحر وبفضل استقبال الأوروبيين الذين كانوا يعبرون البحر إليها ، منذ ذلك الوقت جعلت مصر تبتدئ نوعا جديدا من الحياة ، هي هذه الحياة الحديثة التي نحيها الآن ، جعلت مصر تنظم اتصالها بالغرب الأوروبي ، ترسل أبناءها وتستقبل الغربيين وتتفجع بإرسال أبنائها وباستقبال الغربيين ، وتنشئ المدارس على نحو ما كانت المدارس منشأة في بلاد الغرب الأوروبي ، فأنشأت مدرسة الطب ، وأنشأت مدرسة الحقوق ، وأنشأت بعد تلك المدارس مدرسة الهندسة ، وجعلت تنشئ المدارس الابتدائية ، ثم المدارس الثانوية ووجدت في مصر، أثناء هذا العصر في النصف الأول من القرن الماضي ، نوعان من التعليم أحدهما تعليم حديث يذهب



المذهب الأوروبي والآخر تعليم قديم موروث من الأزهر الشريف يذهب مذهب التعليم التقليدي الذي كان معروفا أثناء القرون الوسطى ، ومن ذلك الوقت نشأ في مصر تياران أحدهما يأتي من أعماق التاريخ الإسلامي والآخر يأتي مما وراء البحر ، فأما التيار الأول الذي كان يأتي من أعماق التاريخ الإسلامي ، فكانت تصوره هذه الكتب العربية القديمة التي كانت نائمة في المساجد ، في مكاتب المساجد ، لا يكاد أحد يقرأها ولا يكاد أحد ينظر فيها . جعلت هذه الكتب تأخذ طريقها إلى المطبعة قليلا قليلا ، وجعل الناس يشترونها ويقرأونها وينظرون فيها شيئا فشيئا ، وجعل هذا التيار يقوى ثم يقوى حتى استأثر بعقول فريق من المصريين واستأثر بأذواقهم ثم استأثر بألسنتهم وأقلامهم آخر الأمر . وفي أثناء ذلك كان التيار الآخر يأتي من وراء البحر ويقوى كذلك شيئا فشيئا . جعل المصريون يتعلمون اللغة الفرنسية ثم جعلوا يتعلمون غيرها من اللغات الأوروبية ، وبخاصة اللغة الإنجليزية ، وجعلوا يترجمون بعض الكتب التي كانت تأتيهم من فرنسا ومن بلاد الإنجليز ، وجعلت العقول والقلوب والأذواق المصرية تتأثر بهذين التيارين : بالتيار الذي يأتي من أعماق التاريخ العربي الإسلامي ، والتيار الذي يأتي من وراء البحر ، وجعلت قلوب المصريين وعقولهم وأذواقهم تلائم بين التيارين وتنشئ منهما شخصية جديدة للأدب الذي كان ينشأ في مصر ، بعد أن مضى النصف الأول للقرن التاسع عشر ، وظهر بعض الشعراء : لا ينظمون ذلك الشعر الذي كان ينظم أيام الترك العثمانيين والذي لا يدل على شيء والذي كان قوامه الجناس وألوان البديع على اختلافها ، وإنما ينظمون شعراً لم يكن المصريون يعرفونه ، أو كانوا عرفوه في عصور مضت

ونسى ، ينظمون شعراً على نحو الشعر العربي القديم الذى كان ينظم فى البصرة وفى الكوفة وفى بغداد ، كانوا يقلدون الشعراء العباسيين، وبعضهم كان يتعمق فيقلد الشعراء الإسلاميين أيام بنى أمية، وربما اجتهدوا فى تقليد الشعراء الجاهليين أيضاً، وكذلك ننظر فى شاعر مصرى " كمحمود سامى البارودى " الذى ظهر فى النصف الثانى من القرن الماضى ، فنراه يتخذ الشعراء القدماء نموذجاً له ، ويتخذ شعرهم مثالا يحتذيه ، فهو يقرأ القصيدة للشاعر القديم فيحاول أن يعارضها بقصيدة مثلها ، على وزنها وعلى قافيتها حتى إذا أتقن هذا النوع من المعارضة واستحكم فيه وملك ناصية الشعر ، أخذ ينظم شعراً يعرب فيه عن ذات نفسه أولاً ويعرب فيه عن ذات النفس المصرية الوطنية ، فيصف طموح مصر إلى الاستقلال ويصف طموح مصر إلى الحرية ويصف الحرب وقد خاض غمارها فى غير موطن، ويصف الطبيعة ويحرض على الثورة ، ويشارك فى الثورة العراقية التى كانت سبب النكبة، نكبة مصر بالاحتلال البريطانى ، ونجده ينفى إلى جزيرة " سيلان " فيظل فيها بضعة عشر عاماً ، وفى منفاه ينظم شعراً رقيقاً يصور الحنين إلى الوطن ويصور الشوق إلى الأهل والإخوان ويصور الحرمان من طبيبات الحياة التى كان يألفها فى مصر. ونجد هذا الشاعر: "محمود سامى البارودى " لا يكتفى بتقليد القدماء ولكنه يختار من شعر القدماء مجموعة ضخمة تنشر بعد وفاته فى أربعة مجلدات .

وعلى نحو السيرة التى سارها البارودى فى أدبه وفى شعره خاصة ، ينهض أو يظهر شعراء آخرون يذهبون نفس المذهب : يقرؤون الأدب العربى القديم الجاهلى والإسلامى الأموى والعباسى ويحاولون أن يقلدوا هؤلاء الشعراء

القدماء ونرى حافظاً ثم شوقي وغير حافظ وشوقي من شعرائنا في آخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، حتى أتيح لمصر في هذا العصر الحديث ما لم يتح لها أثناء العصر الإسلامي كله، فمصر لم يتح لها الامتياز في الشعر في عصورها الإسلامية المختلفة ، كان الشعر عراقياً أول الأمر ، وكان نجدياً وحجازياً ثم صار الشعر سوريا أيام بني العباس في القرن الثالث ما بعده أيام أبي تمام والبحري ثم المتنبي وأبي العلاء المعري ، وصار الشعر أندلسياً ومغربياً وظلت مصر قليلة الحظ من الشعر ، يفد عليها الشعراء من البلاد العربية المختلفة ويظهر فيها شعراء لا يبلغون الطبقة الثانية ، وعسى ألا يبلغوا الطبقة الثالثة أيضاً من الشعر . كان حظ مصر في الشعر ضئيلاً منذ الفتح العربي إلى العصر التركي العثماني إلى أواسط القرن التاسع عشر . وبفضل هذه النهضة الحديثة ، وبفضل التقائها بين التيارين : التيار القديم الإسلامي والتيار الحديث الغربي ظهرت في مصر نهضة شعرية وأتيحت لمصر مدرسة جديدة في الشعر ، ولكنه شعر تقليدي على نحو الشعر الذي كان يقال في بغداد وفي البصرة وفي الكوفة كما قلت آنفاً، وأتيح لمصر أن تمتاز في الشعر وأن يتجاوز صوت شعرائها حدودها إلى الشرق وإلى المغرب العربي ، وعُرف حافظ إبراهيم وعُرف شوقي وعُرف خليل مطران في البلاد العربية كلها وأصبحت مصر ولها مدرسة شعرية للمرة الأولى في تاريخها الأدبي العربي ، وبهذه المدرسة التي نسميها بالمدرسة المصرية التقليدية في الشعر ، بهذه المدرسة الشعرية ختم الشعر العربي في مصر ، فلم يكدهؤلاء الشعراء يتركون هذه الحياة الدنيا إلى العالم الآخر حتى عادت مصر إلى ما كانت عليه قبل وجود هذه المدرسة ، قليلة الحظ من الشعر . يوجد فيها الذين

يقولون القصائد وينشئون القصص التمثيلية على نحو ما كان يصنع شوقي ، ولكن كل هؤلاء الشعراء لا يبلغون مبلغ الشعراء التقليديين الذين ذكرتهم آنفنا البارودي وحافظ وشوقي وإسماعيل صبرى وخليل مطران وسائر شعراء هذه الطبقة .

إنما الفن الأدبي الذى امتازت فيه مصر امتيازاً ظاهراً حقاً هو فن النثر ، ففي أواسط القرن تأثر المصريون كما قلت لكم بهذين التيارين لا فى الشعر وحده ولكن فى التفكير كله ، بل فى التفكير وفى الشعور ، جعلوا يترجمون بعض الكتب الفرنسية والإنجليزية وجعلوا يرون كيف كان الفرنسيون والإنجليز يكتبون ، وجعلوا يعرفون كيف كان ابن المقفع وكيف كان الجاحظ وكيف كان الكتاب القدماء يكتبون أيضاً ، جعلوا يقرؤون للكتاب القدماء ويقرؤون للكتاب الأوروبيين ويحاولون أن ينشئوا لأنفسهم نثراً يتبع مذهب القدماء فى اللفظ وفى الأسلوب ولكنهم يؤدون بهذا اللفظ وبهذا الأسلوب معاني لم تخطر للقدماء لأنها معانٍ جديدة جاء بعضها من الغرب الأوروبى وابتكر بعضها فى مصر ، ولم يكد القرن الماضى ينقضى ويتدىء هذا القرن حتى نرى مظهراً طريفاً من مظاهر هذه الحياة الجديدة للنثر الأدبي فى مصر .

فى أوائل هذا القرن يظهر كتاب صغير ، جعل ينشر فى صحيفة أسبوعية : كان اسمها " مصباح الشرق " وهذا الكتاب كان ينشر أحاديث ، وكان يسمى حديث عيسى بن هشام ، وكلكم يذكر أن عيسى بن هشام هذا هو صاحب الهمداني الذى كان يتحدث عنه فى مقاماته ، فكان الهمداني فى مقاماته يقول : حدثنا عيسى بن هشام ثم يأتى بقصته فى المقامات ، فصاحب هذه الأحاديث فى



تلك الصحيفة وهو "محمد المويلحي" كان يكتب حديث عيسى بن هشلم ، لا على أنها مقامات كمقامات الهمداني ولكن على أنها قصة طويلة ، يكتبها بنفس الأسلوب الذي كان يكتب به الهمداني مقاماته ولكنه يخالف الهمداني لأنه لا يكتب مقامات قصاراً ولكنه يكتب قصة طويلة تصور الحياة الاجتماعية في مصر في أواخر القرن الماضي وأوائل القرن الذي نحن فيه : يزعم أنه ذهب مرة إلى المقابر فإذا بقبر يفتح ويخرج منه رجل يجر كفته وهذا الرجل هو أحد الباشاوات القدماء الذين عاشوا في أول القرن الماضي : " أحمد باشا المنيكلي " ، وهذا الرجل يتعرف بالمتحدث الذي يتحدث إلينا ، ويتخذه دليلاً ، يزور معه مدينة القاهرة ويبحث معه عن أشياء كانت له وهكذا ، وبهذه الطريقة يصف لنا مدينة القاهرة في حياتها ، وحياتها الاجتماعية في أواخر القرن الماضي وفي أوائل هذا القرن ويصفها وصف الناقد للحياة الاجتماعية ، الساخر من الذين يحافظون على القديم ، والمعجب بالذين يطمحون إلى تغيير الحياة القديمة ويذهبون مذهباً حديثاً في الحياة . وكان هذا هو أول مظهر لتأثر النثر العربي بالتيارين القديم والحديث ، فكما قلت لكم صاحب حديث عيسى بن هشام يكتب على أسلوب الهمداني وعلى طريقته ولكنه يصل الحياة الاجتماعية ويعرض عليها قصة طويلة على طريقة الأوروبيين فيلتقي هذان التياران التيار الأوروبي والتيار العربي القديم في هذا الكتاب التقاء حسناً ، ولكننا نحس فيه قوة التيار العربي . فالكاتب يذهب مذهب الهمداني في وضوح صاخر ، وهو في الوقت نفسه ربما التزم السجع أحياناً عندما يريد أن يتأنق في الوصف .



وتمضى أعوام وإذا كاتب آخر يظهر وهو مصطفى لطفى المنفلوطى ، وإن لم يكن مصطفى لطفى المنفلوطى يعرف لغة الأوروبيين فإنه كان يعيش بين الذين يعرفون لغة الأوروبيين ، وكان يقرأ الكتب التى كانت تترجم من اللغلت الأوروبية إلى اللغة العربية فحرص هو أيضا على أن يكتب بالأسلوب العربى القديم على أن يؤدى معانى عربية حديثة ، وكتب مقالات أيضا كانت تنشر فى الصحف ، كان عنوانها "النظرات" ثم جعل تُترجم له كتب فرنسية ترجمة عادية ويؤديها هو بلغته العربية الراقية الجميلة على الأسلوب العربى القديم ، وكذلك ترجمت له بعض الكتب التى كتبت فى فرنسا مثلاً: ترجمت له " سيراندودبيرجيراك " ( Cyrando de ber Gerac ) مثلاً وأداها بلغة عربية قديمة راقية ، وترجمت له بعض القصص كقصة تحت ظلال الزيزفون " À l'ombre des tillules " وعلى هذا النحو .

وفى أثناء هذا كله كان هناك جيل جديد ينشأ فى المدارس الحديثة ، ويتعمق دراسة اللغات الأجنبية أو بعبارة أدق دراسة اللغتين الأجنبيةتين : الإنجليزية والفرنسية ويتعمق دراسة الأدب الإنجليزى والأدب الفرنسى . وإلى جانب هذا كان هذا الجيل يدرس الأدب العربى أيضا ويدرس الأدب العربى التقليدى القديم : يحفظ الشعر ويحفظ مقطوعات من النثر ويحاول أن يؤدى المعانى بمقدار ما يستطيع . بعض الشبان يحاول تقليد الجاحظ فى الإطناب وبعضهم يحاول تقليد ابن المقفع فى الإيجاز وعلى هذا النحو .

ولكن الحرب العالمية الأولى تفجع مصر بنوع خاص ، ولا تكاد تنقضى حتى يثور المصريون مطالبين بالاستقلال وتكون ثورتهم عنيفة حقاً ، ولم تخل من

سفك دماء بين المصريين والإنجليز المحتلين، وهذه الثورة التي كانت في أول أمرها سياسية لم تلبث أن تصبح ثورة سياسية وفكرية بالمعنى الواسع الدقيق ، وإذا المصريون الذين ثاروا بالإنجليز وأرادوا تغيير النظم السياسية: نظم الاحتلال البريطاني ، يريدون أن يغيروا نظم الحكم الداخلى ويثورون بالسياسة الملكية التي كانت مسيطرة في مصر ويريدون أن يحكموا حكماً حراً وأن يكون لهم دستور وأن يكون لهم نظام برلماني على نحو ما هو مألوف في البلاد الغربية الأوروبية ، ثم لا يكتفون بالثورة على النظم الداخلية وعلى نظام الاحتلال ولكنهم يثورون على النظم الفكرية القديمة أيضا .

ويثورون على الأساليب القديمة في الشعر وفي النثر ، فتنشأ طائفة تعبث بشوقي وحافظ وبالمدرسة الشعرية التقليدية وتريد أن تنشئ شعراً جديداً تذهب فيه مذهب الشعراء الأوروبيين : الشعر عربي اللفظ ، واضح الأسلوب ناصع الديباجة ، ولكن المعاني التي تؤدي بهذا الشعر ليست هي نفس المعاني التي كان يؤديها الشعراء المقلدون: شوقي وحافظ وخليل مطران ومن إليهم من هؤلاء الشعراء الذين كانوا لا ينظمون قصيدة إلا نظروا إلى قصيدة للمتنبي أو لأبي تمام أو للبحتري أو لكذا أو لكذا. يأبون إلا أن ينشئوا شعراً جديداً ويأبي الكتاب إلا أن ينشئوا أيضاً نثراً جديداً . وتنشأ في مصر ثورة عنيفة بين القدماء والمحدثين، فهناك أصحاب المذهب القديم الذين يحافظون على الكتابة العربية كما ورثت عن الجاحظ وابن المقفع وعن الهمداني وعن الحريري ومن إليهما. وآخرون يريدون أن يطلقوا أنفسهم على سجيتها وأن يؤدوا المعاني كما يجدونها في نفوسهم ، لا يتكلفون ولا يتعلمون ولا يلتزمون شيئاً ، إلا أن يكونوا معربين

حين يكتبون ، واضحين للذين يقرأونهم أو يسمعونهم ، ثم لا يريدون أكثر من هذا . وتقوى هذه الثورة شيئاً فشيئاً حتى تسيطر على الحياة الفكرية المصرية أثناء العصر الأول للثورة المصرية من انتهاء الحرب العالمية إلى نحو ثلاثين وتسع مائة وألف ، وبعد ذلك تفرض على مصر ألوان من الاستبداد الداخلى والخارجى أيضا : تعاون بين القصر الملكى وبين الإنجليز .

وتفرض أحكام عرفية تحجر على الأفكار وتمنع الناس من أن يعربوا على ذات نفوسهم كما يحبون ، ونجتهد نحن الكتاب والشعراء فى تلك الأيام فى أن نخادع السلطان وفى أن نعبث بالأحكام العرفية وفى أن نؤدى ما نريد على رغم القوانين المفروضة وعلى رغم الأحكام العنيفة التى كانت تفرض علينا ، ونصل إلى التغلب على الحكام أيضا : منا من يهجو القصر ، ومنا من يهجو الإنجليز ، ومنا من يهجو الوزراء، وما إلى ذلك من كل هذه الحريات التى أخذناها غلابا . ولا نحفل بأحكامهم العرفية ولا نحفل بالمحاكم ولا بالسجون ولا بشئ من هذا، وإنما نؤدى ما نريد أن نؤديه مرة بالصراحة ومرة بالأغاز، ولا أنسى كتاباً كتبه أنا فى ظل أقوى ما يمكن أن يكون من قسوة الأحكام العرفية ولكنه كلن كتاباً لم أصرح فيه أحداً بشئ، وقلت فيه مع ذلك كل ما أريد أن أقول ، وسميته " جنة الشوك " لأن هذا الكتاب كان يتألف من مقطوعات قصار ليس فيها مقطوعة إلا وفيها غمزة لحاكم أو لملك أو لوزير . (تصفيق )

وفى أثناء هذا ، أيها السادة ، نشأ فى مصر فى الأدب العربى فنّان جديدان لم يألّفهما الأدب العربى من قبل ، أما أحدهما فن القصص الطويل والقصير ، هذا الفن بدأ فى أول القرن كما قلت لكم فى حديث عيسى بن هشام ، ولكن

القصاص تحرروا من السجع ومن تقليد الكتاب القدماء وأنشؤوا لأنفسهم لغتهم الخاصة العربية ومذهبهم الخاص في الكتابة وجعلوا يقلدون في أول أمرهم القصص الأوروبى الذى كانوا يقرؤونه باللغات الأوروبية أو مترجما إلى اللغة العربية ثم لم يلبثوا أن وجدوا أنفسهم وحققوا شخصيتهم وأنشؤوا قصصًا مصريًا جديدًا لا يقلدون فيه كاتبًا أوروبيا، إنجليزيا أو فرنسيا .

وإذا أتيح لكم أن تقرؤوا ما ينشر في مصر من القصص الآن فإنى أحب أن تقرؤوا ما يكتبه كاتب مصرى من الكتاب الشبان الذين تخرجوا في جامعة القاهرة وهو نجيب محفوظ ، كتب طائفة من القصص اعتبرها أنا أروع ما أنتج في الأدب المصرى الحديث : كتب قصصًا وهو يتحرى حين يكتب أن يختار شارعًا من شوارع القاهرة أو حيًا من أحيائها ويختار في هذا الحى أسرة من الأسر ويكتب تاريخ الأسرة وبكتابة تاريخ الأسرة يصور تاريخ الحى ويصور تاريخ القاهرة ويصور تاريخ الأحداث السياسية التى كانت تحدث في القاهرة ، وإذا أتيح لكم أن تقرؤوا هذه السلسلة التى كتبها باسم " قصر الشوق " وباسم " بين القصرين " و " السكرية " فسترون قصصًا عربية أصيلة بأدق معانى الكلمة.

أما الفن الآخر فهو فن التمثيل : الأدب التمثيلى ، وأنتم تعرفون أن الأدب العربى لم يعرف التمثيل اليونانى ولم ينشئ أدبًا تمثيليًا وهو لم يعرف الآن التمثيل اليونانى لأن المسيحية كانت قد حظرت فن القصص التمثيلى ، فالمسلمون عندما أخذوا يترجمون الآثار اليونانية ترجموا الفلسفة والعلم ، وهكذا ، ولكن الآداب لم تترجم لأن المسيحية كانت قد حظرتها لأنها كانت تعتبرها أدبًا وثنيًا، مهما يكن من شئ فقد جعل بعض كتابنا ينشئون قصصًا تمثيلية ، ونشأ عندنا



كاتب - كلكم سمع اسمه فيما أظن - هو "توفيق الحكيم" هو الذى وظف التمثيل فى اللغة العربية وجعله مصرياً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة : أنشأ طائفة من القصص التمثيلية ، أكثرها يقرأ ولا يكاد يمل ، وهو قد أنشأ طائفة من القصص كلها جيد وكلها رائع ، وكذلك استطعنا أن نحى شيئاً من تراثنا القديم بمقدار ، لا أقول إننا قد بلغنا من ذلك الذى نريد ، بل لا أقول إننا بلغنا من ذلك بعض ما نريد. فنحن فى أول الطريق ولكننا مع ذلك قد أحيينا طائفة غير قليلة من الكتب العربية القديمة ، وقد نظمنا لإحياء التراث الآن ، وضعنا له نظاماً جديداً ، ونحن الآن أمام حكومة جديدة فى مصر : حكومة الثورة ، وقد التزمت إحياء التراث العربى ووضعت نظاماً خاصاً لنشر هذا التراث ، وإلى جانب ما تفعله الحكومة ، الجامعة العربية أيضاً تحيي طائفة من التراث القديم وتشر طائفة من الكتب القديمة ، كتباً قيمة . والتزمت الحكومة كما تلتمز الجامعة العربية إلى جانب إحياء التراث القديم ، التزمت الحكومة والتزمت الجامعة ترجمة الآداب الأوروبية العليا : فالجامعة العربية ترجمت فى هذه السنين الأخيرة " شكسبير " : كل قصص شكسبير ، وسينشر المجلد الأول من هذه القصص فى هذا العام إن شاء الله ، والحكومة تترجم روائع الأدب الأوروبى وبينكم هنا أستاذ من أساتذتنا المصريين أخذ فى ترجمة "سيرفانطيس" إلى اللغة العربية وهو الأستاذ الأهوانى . ( تصفيق )

فإلى جانب ما نبذل من جهد متواضع فى إحياء التراث العربى وفى العلم بما عند الأوربيين على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ، قد أتيح لنا بفضل هذا الجهد المتواضع أن نضيف إلى الفنون التى ورثناها عن العرب الأولين هذين الفنين

الجديدين : فن القصص الطويل على النحو الأوروبي وفن التمثيل أيضا ، إلى فنون أخرى في النثر ، هذا الفن الذي ذكرته " جنة الشوك " مثلا : هذا النوع الذي أسميته " الإبيكراما " (Epigrama) والذي هو عبارة عن المقطوعات القصار التي تغمز ، والتي يؤدي بها الكاتب ما يريد دون أن يصرح بشئ ، ولا ينشر منها مقطوعة إلا عُرف من المراد .

وقد ذكرت في الحديث الذي ألقيته منذ أيام في الرباط أني أُلجأ إلى المغرب وإلى سائر البلاد العربية في المشاركة في هذا الجهد لإحياء التراث العربي ، هذا الجهد الذي يبذل في مصر ويبذل في سورية ويبذل في العراق الآن على مقادير تختلف قوة وضعفاً. أرجو أن تشارك فيه بلادكم أيضا . فقد سبقتم إلى كثير من الفضل في إحياء التراث العربي القديم ، وفي حفظه ، وعندكم منه كنوز لا يُقدر قدرها ولا بد من أن تظهر هذه الكنوز ، ولا بد من أن ترى النور ولا بد من أن تنشر ، تنشر في المغرب وتنشر في المشرق أيضا ، ولا بد من التعاون على إحياء هذا التراث .

وسألني سائل في جريدة ( العَلَم )، هل سنظل نذكر القدماء ونذكر أبا تمام وأمثاله؟ أو هل يجب أن نعيد النظر في مقاييسنا وفي أحكامنا وفي تفكيرنا ؟ وأجيب على هذا السؤال بأننا سنظل نذكر قدماءنا ( تصفيق ) ، نظل نذكرهم وسنظل نحفظهم وندرسهم ، وهم قد عاشوا إلى الآن وما نريد أن نحتمل الإثم فنقضى عليهم بالموت ، ولو حاولنا ذلك لما بلغنا منه شيئا ، لأنهم كانوا أقوى من الزمن ، وأقوى من الدول ، وأقوى من الخطوب ( تصفيق ) : عاشوا وسيعيشون ، ولكن لا أريد أن نقتصر ولا أن نكتفي بذكر القدماء وحفظهم

ودرسهم ، وإنما أريد أن نعرف كل ما عند الغرب ، نعرفه معرفة المتقصى المتعمق ، وأن نجمع ما نعرفه مما عند الغرب إلى ما نعرفه من أمر قدمائنا ، وأن نكون لأنفسنا شخصيتنا الجديدة الحرة القوية المستقلة ( تصفيق ) ، وأن نضيف إلى ما تركه العرب لنا تراثاً جديداً ، فلا ينبغي أن نورث أبناءنا ما ورثناه فحسب وإنما ينبغي أن نورث أبناءنا ما ورثناه وما أنتجناه نحن، ويمضى الأمر على هذا الحال وترقى الحياة العقلية والأدبية العربية بمقدار ما ترقى الحياة العلمية كلها وبمقدار ما ترقى الحياة السياسية .

وإني لسعيد أيها السادة بأن ألقى إليكم بهذه الأحاديث التي تضطرب دائماً في أعماق نفسي والتي لا أزور بلداً عربياً إلا تحدثت إليه فيها ، وطلبت إليه المشاركة في إحياء التراث العربي أولاً ، وفي تعريب الحضارة الأوروبية ثانياً ، وفي إنشاء الشخصية العربية الجديدة آخر الأمر . وإني لسعيد بأن أتحدث إليكم في هذه الأشياء وأنا أسعد أيضاً عندما أكمل وأعتمد على الدولة المغربية ، وعلى هذه الدولة القوية الفتية في أن تظل جديرةً بنفسها ، حفيظةً على مكانتها وهي البلد العربي الذي لم يذق مرارة الاستعمار إلا أقل زمن ممكن ( تصفيق ) ، هذا البلد الذي حفظ استقلاله من الأحداث والخطوب ، ولم يخضع للاستعمار إلا وقتاً قصيراً جداً ثم لم تلبث غمرته أن انجلت ، والحمد لله . فهذا البلد هو أجدر البلاد العربية بأن يكون في مقدمة الحماة للتراث العربي . وفي مقدمة البلاد التي تحيي العقلية العربية الجديدة وتشارك في إنشاء الشخصية العربية الجديدة . ( تصفيق )

ويكفي أن أقول هذا وأن أعتمد فيه على جلالة الملك المعظم وعلى سمو  
ولى العهد (تصفيق) وعلى الأستاذ السيد محمد الفاسى وأمثاله من أعلامكم  
(تصفيق) ويكفى أن أنشد فى هذا المقام :

إِذَا أَيْقَظْتِكَ خُطُوبُ الزَّمَانِ      فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرَا ثُمَّ نَمَّ! <sup>(١)</sup>

وقد نبهت عُمرَ ولكنى أعدكم أننى إن شاء الله لن أنام . ( تصفيق طويل )

---

<sup>(١)</sup> البيت لستار بن برد فى مدح عمر بن العلاء ، وورد فى ديوانه على النحو التالى :

إِذَا أَيْقَظْتِكَ خُرُوبُ الْعِدَا      فَنَبَّهَ لَهَا عُمَرَا ثُمَّ نَمَّ



الملحق الثالث:

نص محاضرة فاس للدكتور طه حسين

في موضوع: "مشاكل الأدب العربي بعد الإسلام"

سيداتي ، سادتي ،

أرجو أن تتفضلوا فتأذنوا لي ، قبل كل شيء بأن أهدى لكم من أعماق  
نفسى أصدق التحية وأخلص الشكر على هذا اللقاء الكريم الذى تفضلتم به  
علىّ منذ بلغنا فاس أمس ، ولقد سمعت أمس من الخطباء ومن الشعراء نثرًا رائعًا  
وشعرًا بارعًا ، ولولا أنى كنت عاجزًا على أن أقول شيئًا لكان لي موقف أمس،  
وإني لأذكر ما سمعته أمس من الشعر والنثر وفي نفسى كثير من الاستحياء ، فقد  
سمعت ثناءً أرجو أن أكون أهلاً في يوم من الأيام لأقله ، أما كله أو أكثره  
فشئ لا مطمع لي فيه ، ومن قبل قيل " إن أعذب الشعر أكذبه " ، وإني أعتذر  
إلى شاعرنا العظيم أمس من ذكر هذه الجملة القديمة ، ولكنى أعترف بأنى لم  
أسمع ثناءً قط إلا ذكرت بيتاً قديماً ، وما أعجبتنى قط دعوى عريضة ولو قلم في  
تصديقها ألف شاهد ، فأنا دائماً مطمئن كل الاطمئنان إلى أنى لا أستحق ثناءً  
وإلى أنى لم أعمل شيئاً أستحق من أجله الثناء ، ولهذا أشكر الذين يتفضلون  
بالثناء عليّ ، ثم لا أزيد على أن أهدى إليهم أصدق الشكر دون أن أصدق مما  
يقولون شيئاً ( تصفيق ) .

وإني لا أهدى إليكم تحيتى الخاصة فحسب ، وإنما أهدى إليكم أيضاً تحية  
الجمهورية العربية المتحدة ( تصفيق ) ، أهدى إليكم تحية الجمهورية العربية  
المتحدة رئيساً وحكومة وشعباً في مصر وفي سورية ( تصفيق ) ، وأحب أن  
أقول لحضراتكم إنى طالما تمنيت أن أزور المغرب عامة وأن أزور هذه المدينة  
الحبيبة إلينا خاصة ( تصفيق ) ، فلمدينة فاس فى قلوبنا مكانة أى مكانة ، فهى  
كانت موئل الحضارة العربية وموئل العلم العربى والتراث العربى كله فى المغرب،

وهى قلعة من قلاع الإسلام الحصينة وقلعة كذلك من قلاع العروبة الحصينة ،  
ومن أجل ذلك لا نذكرها إلا اشتقنا إلى زيارتها ولا نذكرها إلا ذكرنا جامعة  
القرويين (تصفيق ) وما يتصل بها من المدارس ، ونحن نقدر في أعماق نفوسنا أن  
جامعة القرويين هي أقدم الجامعات الإسلامية ، وعسى أن تكون أقدم جامعات  
الأرض كلها ( تصفيق ) ، فإذا اشتقنا إليها وحتت قلوبنا إلى زيارتها ولقاء  
أهلها الكرام فلا غرابة في شيء من ذلك فإنما نشتاق إلى موطننا الطبيعي (   
تصفيق ) ، ولست أدري كيف أشكر لمدينتكم هذه الحبيبة حسن لقاءها ، لا  
حسن لقاء أهلها فحسب ، بل حسن لقاء جوها وإقليمها أيضا ، فقد لقيتينا  
أحسن لقاء ، صفت لنا سماؤها ورق لنا هواؤها وطابت لنا شمائل أهلها ، فلم  
نلق فيها منذ بلغناها أمس إلا خير ما يجب الناس أن يلقوا ، وإني لعاجز كما  
أعجز دائماً على شكر كل هذه النعمة . ولا أملك إلا أن أحمد الله عز وجل  
أصدق الحمد على أن أتاح لي تحقيق هذا الحلم السعيد .

وأريد اليوم أن أتحدث إليكم عن بعض مشكلات تاريخ الأدب العربي  
القديم ، وأعتذر إليكم قبل كل شيء من أن أكون بينكم محاضراً فأنا ، كما  
يقول أبو العلاء ، عندما أتحدث إلى علماء فاس ، كالذي يحمل الماء إلى خضلة  
أو يحمل التمر إلى هجر ، وإني لأستحيي من نفسي أن أقوم بينكم مقام  
المتحدث في شيء من العلم وقد كان الحق على أن أقوم بينكم مقام التلميذ من  
أساتذته علماء جامعة فاس ( تصفيق ) . والمشكلات التي أريد أن أثيرها أمامكم  
الآن لا أثيرها إلا لأني أريد أن تُعنوا بها شيئاً وأن تمنحوها بعض الجهد بالدرس  
والتحقيق ، فليس لي فيها رأى قاطع وإنما أنا أثير مشكلات ، وأنا أحب دائماً

وقد أحببت دائماً أن أثير المشكلات وأن أنشر القلق حيثما كنت ( تصفيق ) .  
وهذه المشكلات تأتي من أشياء تقرر في تاريخ الأدب العربي ويخيل إلى أنها  
في حاجة إلى أن نعيد النظر فيها .

· والمشكلة الأولى منها هي هذه التي تقرر ويقولها الأساتذة والمعلمون  
لطلابهم وتلاميذهم في الجامعات وفي المدارس ، وهي أن ظهور الإسلام قد  
أسكت الشعراء حيناً لأن القرآن قد بهرهم ببلاغته وبيانه الرائع ، وأظن أن ابن  
خلدون كان أول من قرر هذه القضية في مقدمته ، وتبعه الذين أرخوا للآداب  
العربية في العصر الحديث واحتجوا بما قيل أو بما روى أن عمر رضى الله عنه  
أرسل يسأل عن الشعراء في مدينة الكوفة فلم يجدوا هناك إلا شاعراً واحداً هو  
لبيد فلما سألوه عن الشعر وما يقول فيه قال : لقد استغنيت بسورة البقرة وآل  
عمران عن الشعر ! وعلى هذا تقرر في تاريخ الأدب العربي أن العصر الذي تلا  
ظهور الإسلام قد كان عصرًا ضعف فيه الشعر ضعفاً شديداً ، ولم يكد يُعرف  
الشعر الجيد إلا بعد مضي نحو نصف قرن ، وظهر الشعراء الجدد الذين نشؤوا  
في الإسلام .

هذه القضية تحتاج إلى بحث وإلى بحث مطول ، ذلك لأننا نجد الشعراء قد  
استمروا بعد ظهور الإسلام وفي أيام الخلفاء الراشدين وفي أيام الفتح الإسلامي ،  
أيام عمر ، وأيام عثمان ، استمروا يقولون الشعر كما كانوا يقولونه في العصر  
الجاهلي ، لم يغيروا من طريقتهم شيئاً ، وإنما ظلوا يقولون الشعر كما كان  
القدماء قبل الإسلام يقولونه ، يبدؤون بالغزل وبوصف الربوع والأطلال ،  
وبوصف هذا الحنين إلى أماكن الأحبة ، وبوصف انتقال الأحبة من ديارهم إلى



أمكنة أخرى يسمونها أو لا يسمونها ، ثم يتسلون عن هذا الحنين وعن هذا الشوق المؤيس بوصف الناقة ، وبوصف الصحراء التي تسافر فيها الناقة سـفـراً طويلاً شاقاً غير قاصد ، ويطيلون بوصف هذه الناقة كما كان الجاهليون يطيلون ، ويشبهونها مرة بالثور الذي يذعر عندما يحس نبأة من الصائد ، ويطيلون في وصف هذا الثور البائس الذي تطارده كلاب الصيد ويصارعها ما استطاع ثم يصرع آخر الأمر ، ثم يذكرون أنفسهم ولذاتهم في عصورهم القديمة و يذكرون شربهم للخمر و يذكرون لهوهم واستماعهم للغناء جلوساً إلى الخمر ، يحف بهم الريحان ، كما كان الأعشى يقول في الشعر الجاهلي ، ومنهم من يقول الشعر في موضوعاتٍ جديدةٍ أو قديمةٍ أخرى ، ويكفى أن تقرؤوا في المفضليات بعض القصائد التي قيلت بعد ظهور الإسلام وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فهناك مـتـم بن نوير الذي جعل يرثي أخاه مالكا بشعرٍ رائعٍ ممتعٍ حقاً ، وهناك عبدة بن الطبيب الذي يصف حياته ويذكر حرب المسلمين مع الفرس ولا يمنع ذلك من أن يصف لهوه ولذته ، ومن أن يصف مواقفه من اللهو واللذة كما كان الجاهليون يفعلون ، وهناك الحطيئة الذي لم تمنعه عقوبة عمر رضي الله عنه له بالسجن من أن يظل هجاءً ومن أن يهجو أمه ويهجو آخر الأمر نفسه في أبياته المشهورة :

أَبْتُ شَفَتَايَ الْيَوْمَ إِلَّا تَكَلُّمًا      بَشْرٌ فَمَا أَدْرِي لِمَنْ أَنَا قَائِلُهُ  
أَرَى لِي وَجْهًا شَوَّهُ اللَّهُ شَكْلَهُ      فَكَبِّحْ مِنْ وَجْهِهِ وَقَبِّحْ حَامِلَهُ!

ولا تؤاخذوني إن كنت غيرت بعض الألفاظ من هذا الشعر .

والخطيئة يعيش في أقوى عصور الإسلام قوة ، عيشة جاهلية خالصة فهو يمدح ويهجو ويتغزل ويعيش كما كان الشعراء الجاهليون يعيشون ، وما أكثر الشعراء الذين يذكرون في كتب الأدب. وفي كتاب الأغاني بشكل خاص ، والذين يعدون من الشعراء الجاهليين وقد عاشوا أو عمروا إلى عصر متأخر في الإسلام عاشوا إلى أيام معاوية ، فهناك لبيد وهناك النابغة الجعدي وهناك الخطيئة إلى آخر هؤلاء الشعراء الذين تجدونهم في الكتب، والذين لم يُعرضوا عن قول الشعر بعد ظهور الإسلام وإنما ظلوا يقولونه كما كانوا يقولونه في العصر الجاهلي ، وكم أحب أن أستقصى أمر كعب بن زهير ، ماذا صنع بعد أن أنشد النبي صلى الله عليه وسلم قصيدته " بانت سعاد " أقال الشعر بعد ذلك أم سكت ، هذه أشياء أحب أن نعيد النظر فيها وأن ندرسها دراسة دقيقة ، وسنرى فيما أعتقد أن هذه النظرية التي أثارها ابن خلدون والتي تقول إن الشعر العربي قد ضعف بعد الإسلام إنما هي نظرية خاطئة !

ولا علينا مما يقال إن شعر " حسان " كان في الجاهلية أقوى منه في الإسلام فهذا أيضًا كلام لا قيمة له عندي ، ذلك أن الشعر الذي كان حسان يقوله أيام النبي صلى الله عليه وسلم كان من أرقصن الشعر وأقواه ، وإذا اخترع الشعر بعد ذلك وأضيف إلى حسان وظهر فيه شيء من ضعف ، فهذا الضعف ليس يضاف إلى حسان نفسه ، وإنما يضاف إلى الذين اخترعوا هذا الشعر وصنعوه ثم حملوه على حسان ، أما الشعر الذي يروى عن حسان أيام النبي صلى الله عليه وسلم وبعد أيام النبي فكله شعر جيد جدير بشعر حسان في العصر الجاهلي ،

فهذا الذى يقال من أن شعر حسان فى الإسلام كان أضعف منه فى الجاهلية  
أيضاً كلام لا أصل له !

هذه المشكلة كما قلت أحببت أن أثيرها أمامكم كما يثير التلميذ مشكلة  
أمام أستاذ من أساتذته ليجد لها حلاً ، وأنا أرجو أن تتفكروا فيها وأن تتدبروا ،  
وما أشك فيما بينى وبين نفسى فى أنكم سترون أن هذه النظرية التى أثيرت  
وقررت فى تاريخ الآداب ليست نظرية صحيحة بحال من الأحوال ، وهذه  
المشكلة هى أيسر المشكلات التى أريد أن أثيرها أمام حضراتكم ، وهناك  
مشكلة أخرى أيضاً تحتاج إلى كثير من التفكير وإلى كثير من البحث والتدبر ،  
ذلك أننا نقرأ تاريخ الأدب العربى أثناء العصر الأموى فنلاحظ ظاهرة غريبة ،  
نلاحظ أن الحجاز ، وهو موطن الوحي ، قد أصبح أيام بنى أمية موطن الغزل  
والغناء والموسيقا واللهو والفراغ والترف ، ونفهم هذا فهماً جيداً لأن الأمويين  
منعوا أبناء المهاجرين والأنصار من العمل السياسى ، وحالوا بينهم وبين الخروج  
من الحجاز إلا أن يذهبوا إلى دمشق للقاء الخليفة ، وأخذ جوائزهم وعطاياهم ، ثم  
يعودوا إلى الحجاز ويفرغوا للهوهم ومتاعهم . وقد أتيح للحجاز فى تلك الأيام  
كثير من الثراء وكثير من الأسارى الذين أصبحوا رقيقاً وموالى ، يعملون  
لسادتهم من أبناء المهاجرين والأنصار ومن أشرف أهل الحجاز ، يزرعون لهم  
الأرض ويصنعون لهم ما يحتاجون إليه ، ويقومون على ترفهم ولذاتهم فى  
دورهم ، منهم من يفرغ للطعام ، ومنهم من يفرغ للباس ، ومنهم من يفرغ  
للزينة ، ومنهم من يفرغ للغناء وللموسيقا ، وكان بنو أمية يمنعون هؤلاء  
الشباب من أبناء المهاجرين والأنصار من العمل السياسى ولكنهم يصدقون عليهم

العطاء ويكثرون من إرسال الأموال إليهم ، يريدون أن يصرفوهم عن المطامع السياسية فكثرت بذلك المال وأغلّت لهم الأرض مالا إلى مال ، وعمل لهم الرقيق ما زاد ثراءهم أيضاً وما زاد ترفهم واستمتاعهم بطيبات الحياة ولم يبق لهم إلا أن يفرغوا لهذا النعيم ، فجعل بعضهم يقول الشعر ، يقوله غزلاً جاداً محتاطاً متحفظاً بالوقار العربي القرشي كما كان يفعل عمر بن أبي ربيعة على كثير من العبث في شعره أيضاً ، ومنهم من كان يسرف في العبث ، وفي الجحون كما كان يفعل شعراء المدينة . وكثرت الغناء في الحجاز ، وكثرت الموسيقى ، وكثرت مجالس الطرب ، وكثرت تلك المجالس التي كانوا يجتمعون لها ويجتمع فيها المغنون والمغنيات والعازفون والعازفات ، ويكثر فيها الغناء ، ولا يزال الغناء يقوى ويشتد حتى يثير الحاضرين ، فإذا هم يثبون ثم يتراقصون ، كما يفعل المحدثون الآن ، إنما على رقصٍ خاصٍ بالطبع ليس كالرقص الذي نعرفه الآن في أوروبا، أو في البلاد الشرقية . مهما يكن من شيء فكتب الأدب على اختلافها تصور لنا الحجاز أثناء القرن الأول على هذا النحو من الترف والفراغ واللهو وقول الشعر في الغزل والغناء وما إلى ذلك وينشأ عن هذا أيضاً أن الشعراء يريدون أن يلائموا بين شعرهم وبين الغناء وبين شعرهم وبين الموسيقى فيخففون الأوزان الطويلة التي ورثوها عن العصر الجاهلي وينشئون الأوزان المجرأة ، ويصنعون هذا الشعر الرقيق القصير الذي يلائم العزف ويلائم غناء المغنين وبينما نرى هذا كله في الحجاز ، ونرى موسم الحج بالقياس إلى شعراء الحجاز وإلى شعراء مكة بنوع خاص ، وعمر بن أبي ربيعة بنوع خاص ، نرى موسم الحج موسماً لضرب من المتاع واللهو ، واذكروا إن شئتم قول عمر :



عُوجِي عَلَيْنَا رَبَّةَ الْهُودَجِ  
إِنِّي أُتَيْحَتْ لِي مَنِيَةٌ إِحْمَـ  
فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ وَمَاذَا مِنِّي ؟  
نَلْبَثُ حَوْلًا كَامِلًا كُلَّهُ  
إِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلِي تَحْرَجِ  
دَى بَنِي الْحَارِثِ مِنْ مَدْحَجِ  
وَأَهْلِهِ إِنْ هِيَ لَمْ تَحْجَجِ !  
لَا نَلْتَقِي إِلَّا عَلَى مَنْهَجِ

وكان عمر ، كما تعرفون ، لا يدع شريفة من أشرف الحجاز ولا من أشرف الشام تذهب إلى الموسم حتى يقول فيها الشعر ، وكان أشرف النساء يحرصن على أن يذكرهن عمر بن أبي ربيعة ، وربما أنفقن في ذلك المال أيضا ، وكان عمر ربما توعد الخلفاء ومنعوه وخرجوا عليه أن يصف الأميرات ، ولكنه على ذلك كان يقول ، وكان الأحوص مسرفاً على نفسه في المدينة ، كلكم يذكر قصته مع سليمان بن عبد الملك عندما أمر بتشهيره في المدينة ونصبه للناس ، وعندما أمر آخر الأمر بنفيه عن المدينة إلى اليمن . كل هذا كنا نراه في الحجاز ، ونرى أكثر جداً مما قلت لكم ، وأي دراسة للمغنين والمغنيات في مكة وفي المدينة تعطيك صورة واضحة عن هذه الحياة الفارغة اللاهية في مدن الحجاز ، وإلى جانب هذا كنا نرى في بادية البلاد العربية : في بادية الحجاز وفي بادية نجد ، نوعاً آخر من الغزل ، لا يصور لهواً ولا فراغاً ولا استمتاعاً بطيبات الحياة ، وإنما يصور حرماناً ويأساً وألماً وهو هذا الغزل الذي نسميه بالغزل العذري والذي لا أعلمه إلا بأنه كان إعراباً عما كان الأعراب في الحجاز وفي نجد يجدونه من الألم لأنهم لم يستمتعوا بما كان يستمتع به المترفون في مدن الحجاز وفي أمصار الشام والعراق من النعيم والثراء والترف ، وإنما كانوا يعيشون كما كانوا يعيشون في العصور القديمة ، يراعون إبلهم ويتنقلون بها من

مكان إلى مكان ، ويضيقون بسعاة الصدقة عندما كانوا يأتون في كل حـول  
ليأخذوا منهم الصدقات ، وكانوا قد فقدوا شبابهم ، فقد ذهب الأبناء  
والإخوان وذهب الشباب كلهم إلى الثغور يجاهدون العدو ، يقيم منهم من يقيم  
في البصرة أو في الكوفة أو في أجناد الشام أو في أجناد مصر أو في شمال إفريقيا،  
ويذهب الذاهبون منهم إلى الثغور كما كانت القاعدة ، فبعد العهد بهم ،  
وتركوا الشيوخ وتركوا العاجزين عن الغزو ، تركوا أولئك في الحجاز وفي بادية  
الحجاز وفي بادية نجد ، يعيشون كما كانوا يعيشون من قبل " فليلي " و " عزة  
" و " بثينة " و " سلمى " و " رية " كل هذه الأسماء التي يتغزل بها الشعراء  
العدريون ليست فيما أرى أسماء لنساء بأعينهن ، وإنما هي رموز لهذه الآمال  
الضائعة وهذه الأحلام التي لم تتحقق ، وهذه الأمانى التي يحول بينهم وبين  
تحقيقها الحرمان ، هذا الذى كنا نراه في بلاد العرب ، في جزيرة العرب : غزل  
يصور اللهو والفراغ في مدن الحجاز ، وغزل يصور الحرمان والألم والشوق في  
بادية الجزيرة العربية ، فإذا ذهبنا إلى العراق لم نر من هذا كله شيئاً، وإنما رأينا  
حياة صارمة وجداً أى جد وقسوة أى قسوة ذلك أن أهل العراق كانوا  
مشغولين إما بالجهاد وإما بمعارضة الحكومة المركزية في دمشق. في العراق كان  
الخوارج، وفي العراق كانت الشيعة والخوارج. والشيعة يعارضون بنى أمية،  
يعارضونهم بألسنتهم دائماً ، ويعارضونهم بسيوفهم كلما سنحت لهم الفرصة ،  
فإذا التقوا في أمصارهم في البصرة أو في الكوفة ، خلوا إلى أنفسهم في  
مساجدهم يجادل بعضهم بعضاً في السياسة، ويجادل بعضهم بعضاً في أصول  
الإسلام ، ويجادل بعضهم بعضاً في هذه الأشياء التي اختلف المسلمون فيها منذ

كانت الفتنة التي قتل فيها عثمان رضى الله عنه ، ومنذ كانت الحرب بين علي رحمه الله وبين معاوية .

كل هذه المسائل كانت تشغل أهل العراق عن لهو أهل الحجاز وعن فراغهم ، فهم لم يكونوا أصحاب فراغ ، وإنما كانوا أصحاب عمل وأصحاب جد وأصحاب حرب وأصحاب معارضة : معارضة باللسان ومعارضة بالسيف ، ثم هم كانوا أيضاً أصحاب مناظرة وعن مناظراتهم في مساجد البصرة والكوفة ، نشأ علم الكلام عند المسلمين .

في أثناء هذا كان أهل العراق يسخرون من الحجازيين ، ويسخرون من غزلمهم ، ويسخرون من حبهم للغناء ، ولم يكن العراقيون يحبون أن يستمعوا للغناء وإنما كانوا ينكرون على الحجازيين حبهم للغناء ، ثم ننظر فجأة في أواسط القرن الثاني الهجرى عندما أديل من بنى أمية لبني العباس فإذا اللهو كله في العراق إلى جانب الجدد ، وإذا الشعر الذي يصور الخلاعة والعبث والمجون كأبشع ما تكون الخلاعة ، وكأبشع ما يكون العبث والمجون ، كل هذا في العراق على نحو لم يعرفه الحجاز حتى في المدينة التي غضب عليها سليمان بن عبد الملك ، والتي أراد سليمان أن ينفي عنها المغنين . فمن أين انتقل هذا اللهو وهذا الفراغ ومن أين جاء إلى العراق ؟ وكيف تحول العراق من هذه الحياة الجادة الحازمة الصارمة ، التي كان يحيها أيام بنى أمية إلى هذه الحياة اللاهية الخليعة الماجنة التي كان الشعراء يحيونها في البصرة وفي الكوفة جميعاً إلى جانب الفقهاء والعلماء من رجال المعتزلة ومن رجال أهل السنة؟ كيف كان هذا ؟ وكيف تم على هذا النحو من الفجاءة الغريبة ؟

هذه مشكلة أعرضها على حضراتكم ، وقد افترضت فرضا ، لا أقطع به ، ولكنى أرجو أن تفكروا فيه وعسى أن تحققوه ، وهذا الفرض هو أن هذا الغزل وهذا اللهو الذى انتقل من المدينة إلى الشام أولاً ثم انتقل من الشام إلى العراق ، لم يأت من الفرس كما يقال عند الذين يؤرخون الآداب العربية ، لم يأت من الفرس ، وسترون ما جاء به الفرس فى هذه الناحية ، وإنما أتى من الحجاز قبل كل شىء ونحن نقرأ فى تاريخ الأدب العربى فى النصوص القديمة أن يزيد بن عبد الملك بن مروان ذهب إلى المدينة أيام سليمان بن عبد الملك وأعجبه مغنية ، كانت أمة لبعض أهل المدينة ، وهى " سلامة " فاشتراها وغالى فى ثمنها ، وبلغ الأمر سليمان فأنكر هذا الشراء وألغاه ، وعاد يزيد محزوناً ، فلما توفى سليمان ومات عمر بن عبد العزيز رحمه الله وصار الأمر إلى يزيد لم يكن قد نسى "سلامته" تلك فاشتراها ، وجاءت " سلامة " إلى الشام واستقرت عند يزيد بن عبد الملك ، وبفضل سلامة عفا يزيد عن الأحوص بن محمد ودعاه إلى الشام، وبفضل سلامة وفد المغنون من الحجاز إلى دمشق ، ويغضب هشام بن عبد الملك على الوليد بن يزيد ويتقدم إليه فى أن يصرف عنه هؤلاء الموالى ، وفى أن يسير سيرة يرضاهما المسلمون . ويأبى الوليد ويقطع هشام عن الوليد أرزاقه ، ويكاد يبطش هؤلاء الموالى ، ولكن الوليد يأبى ويقاوم ويقاوم حتى يموت هشام ويؤول أمر الخلافة إلى الوليد بن يزيد وكلكم يعرف ما كان يروى عن الوليد بن يزيد مع ما فيه من إسراف فى العصر العباسى ، فقد أسرف العباسيون على الوليد ونسبوا إليه أشياء ما أظن أنها صحيحة ، فهم ينسبون إليه أنه كان يرمى المصحف بالسهام ويقول له ذلك الشعر :



إِذَا لَقِيتَ رَبَّكَ يَوْمَ حَشْرِ  
فَقُلْ يَا رَبِّ مَزَّقْنِي الْوَلِيدُ !

إلى آخر هذا الشعر وأنا شخصياً أعتقد أن هذا ربما كان من كذب الرواة على الوليد تقريباً إلى بني العباس . مهما يكن من شيء فأنتم تعرفون كيف انتهت حياة الوليد : انتهت بالثورة ، وكان الثائرون عليه بنى أمية أولاً ثم غيرهم من أهل الشام بعد ذلك ، وقتل الوليد وتفرق عنه أولياؤه ومغنوه ومطربوه وعادوا إلى العراق ، ويصادف هذا ضعف الدولة الأموية ثم يدال من بنى أمية لبني العباس . وهنا يظهر ما أضافه الفرس إلى هو الحجاز ، ذاك الذى انتقل إلى الشام أيام يزيد بن عبد الملك ، وقوى فى الشام أيام الوليد ابن يزيد وسار إلى العراق بعد أن قتل الوليد . هنا بعد أن يدال لبني العباس يظهر ما أضافه الفرس إلى ما ورد عليه من هو الحجاز .

كلكم يذكر أن الشيعة كانوا يطالبون بتحقيق المساواة بين المسلمين ، بتحقيق المساواة التى أمر الله بها فى القرآن ، والتى أمر النبي بها فى سنته : لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى ، " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ " وكلكم يذكر أن بنى أمية قد جعلوا حكومتهم عربية ، وجعلوا أمر الحكم كله إلى العرب ، وأظهروا أمر العرب ، وازدروا إلى حد بعيد غير العرب ، من البلاد التى غلبت وفتحت على المسلمين ، ولم ينصفوا المسلمين من الفرس ومن غير الفرس ، من البلاد المغلوبة ، لم ينصفوهم ، وإنما نظروا إليهم على أنهم موالٍ ، ونظروا إليهم على أنهم أقل درجة ، لم يعطوهم حقوقهم السياسية ، ولم يعطوهم حقوقهم الاجتماعية كاملة وإنما جعلوا السيادة الكاملة والسلطان الكامل بأوسع معانيه

للعرب دون غيرهم من المسلمين فضلاً عن المسلمين وكان الشيعة يطالبون بتحقيق المساواة بين العرب وغير العرب ، وبفضل هذه المطالبة استطاعوا أن يستأثروا بقلوب الفرس ، وبفضل حرصهم وإظهارهم المطالبة بهذه المساواة استطاعوا أن يجندوا الفرس ، وأن ينتصروا بهم على بنى أمية ، وأن يقيموا الدولة الجديدة ، دولة بنى العباس . والواقع أن الذين انتصروا في الثورة العباسية إنما كانوا هم الفرس ، انتصروا على العرب ، وفي نفوس كثير من الفرس كان هذا الانتصار انتصاراً من العرب ، وكانوا يرون أنهم أخذوا ثأرهم ذاك وعادوا إلى السيادة بعد أن فتحت بلادهم أيام الخلفاء الراشدين . وكلكم يعلم أن بنى العباس بعدما تولوا الحكم لم يأمنوا للعرب ، فمحووا أسماء العرب من دواوين الجند واعتمدوا على الفرس ، وحدهم أول الأمر ، ثم اعتمدوا بعد ذلك على الترك إلى آخر ما تعرفون من تاريخ بنى العباس ... المهم أن هؤلاء الموالى الذين انتصروا أسكرهم الانتصار وظنوا أنهم قد بلغوا كل شيء وقد ساروا إلى خير ما كانوا يحبون فازدروا كل التقاليد القديمة العربية ولم يعبؤوا بالدين ، ولم يحفلوا بالعادات القديمة ، ولا بالوقار العربي ، واستهتروا بلهوهم ولعبهم ، وأضلفوا إلى ما وفد إليهم من الشام ، من الحجاز من طريق الشام ، أضافوا إليه هذا المجدون الفاجر الذى تجذونه عند " بشار " ، وتجذونه عند " مطيع ابن إلياس " وتجذونه أحياناً عند غيرهما مثل " أبي نواس " وعند غير هؤلاء الشعراء وكذلك استطاع شاعر كأبي نواس أن يجهر بمثل هذا البيت :

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ  
وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ !

وأن يجهر بما هو أشنع من هذا ، واستطاع بشار أن يسرف في الغزل ، وفي وصف المجون واللهو حتى ضج منه أهل البصرة ، وظهرت هذه الفنون العابثة الماجنة في الغزل وفي وصف الخمر وفي الهجاء الفاحش الذي زاد على ما عرف من هجاء " الفرزدق " وجرير " ثم أسرفوا حتى أنشؤوا غزلهم الجديد ذلك ، غزلهم بالغلمان ، وهو شيء لم يعرفه العرب . هذه هي الأشياء التي أضافها الفرس إلى ما ورثوا من هو أهل الحجاز . وقد ترون أني بهذا الحديث الذي قد أكون أسرفت في إطالته ، قد عرضت عليكم شيئاً من هذه المشكلات التي يجب أن نعيد النظر فيها وأن ننظر في التاريخ الأدبي العربي نظرة جديدة لعلنا نستطيع توضيحه وتحقيقه وإحيائه كما ينبغي أن يحيا ، فليس يكفي أن نقرأ ما يكتب في الكتب وأن نقرره ونعيده على تلاميذنا وطلابنا كما قرأناه ، ونصبح كأننا هذه الأداة التي تحكى ما يسجل لها من الأصوات أو نصبح كأننا البيغاء . وإنما وهبنا الله عقولاً لنفكر بها وهبنا أذواقاً لنقيس بها الجيد إلى الرديء فيجب إذن أن نعمل عقولنا ، ويجب أن نعيد النظر في تاريخ الأدب العربي كله ، ولا سيما في هذه القرون الأولى ، وسترون عندما تعيدون النظر في تاريخ الأدب العربي القديم في القرنين الأول والثاني بنوع خاص ، سترون أنكم ستستكشفون حقائق كثيرة لا تعرف إلى الآن ، والشيء الذي أحب أن أقرره أمام حضراتكم هو أن ما نعرفه من تاريخنا الأدبي قليل جداً بالقياس إلى ما نجهله . فما أكثر ما ندرس شاعراً من الشعراء فنكتفي بأن نقرأ ما كتب صاحب " الأغاني " عن الأدب العربي ونكتفي بالأبيات التي يرويها " أبو الفرج " وأقلنا هو الذي يفرغ في

النظر إلى ديوان هذا الشاعر أو ذاك ، وأقلنا الذى يستنبط حياة الشاعر من شعره لا من كلام صاحب الأغاني وأمثاله من الذين كتبوا فى العصر العباسى .

كل شىء يدعوننا إلى أن نعيد النظر فى تراثنا القديم ، نعيد النظر فيه لأننا نحب ونريد أن نستخلص صفوته ، ونريد أن نزيل عنه ما لصق به وما ران عليه من الأوهام والأساطير والخرافات . وأؤكد لكم أنكم إذا أعدتم النظر فى تاريخ الأدب العربى والتمستموه فى شعر الشعراء لا فى حديث الرواة ، والتمستموه فى الدواوين لا فيما يختصر من الدواوين ستجدون متعة أى متعة ، وستجدون نعمة أى نعمة ، ستشعرون أنكم تستكشفون التاريخ العربى من جديد .

وقد قلت لكم فى أول هذا الحديث إنى قد أحببت دائماً أن أثير المشكلات وأن أثير القلق من حولى . وإنى لأرجو أن أكون قد أثرت بين أيديكم من المشكلات ونشرت حولكم من القلق ما يدعوكم إلى ألا تقرؤوا ( الأغاني ) إلا لتقرؤوه ليس غير ، ولتأخذوا منه بعض ما تحتاجون إليه من العلم ، ولا تتخذوه وحده مصدراً للتاريخ الأدبى فالكذب فى كتاب الأغاني كثير ، والانتحال فيه كثير ، والتزوير على القدماء فيه كثير أيضاً ، والخير كل الخير فى أن نلتمس الأدب العربى فى النصوص القديمة نفسها وفى دواوين الشعراء وفى رسائل الكتاب لا فى ما يحكى عن الكتاب والشعراء . وإذا فعلنا هذا كنا أولاً قد أنصفنا أدبنا العربى وطهرناه من الأوهام والأساطير ، وكنا ثانياً قد أحييناه الحياة الجديدة به ، وكنا ثالثاً قد رددنا على أنفسنا عقولنا ، وقد بحثنا كما ينبغى للعلماء أن يبحثوا ، وخرجنا من هذا التقليد الطويل الذى أفسد علينا كثيراً من أمرنا إلى الآن .

أما بعد فإنى أجدد التحية وأجدد الشكر وأعتذر إليكم من هذا الحديث الذى

أطلت فيه وأرجو ألا أكون قد أثقلت عليكم بهذا الإسراف .



الملحق الرابع:

محاضرة الدكتور طه حسين بتطوان حول:

"مشاكل الأدب العربي..."

تقلاً عن مراسلة مجلة (مرسالة الأديب) المراكشية

عدد ٥-٦ يونيو يولييه ١٩٥٨

تلخيص الأستاذ عبد اللطيف بوحسين مع شكرنا

للأستاذ عبد الصمد العشاب

محافظ مكتبة عبد الله كنون بطنجة

استهل عميد الأدب العربي محاضراته بتقديم تحايا وعبارات الأخوة من الجمهورية العربية المتحدة حكومة وشعباً إلى الشعب المغربي عامة ، " وقد رد الحاضرون على تلك التحية بتصفيقات حادة استمرت طويلاً " ثم بدأ الدكتور حديثه عن المشاكل التي تتصل بالأدب عموماً كأزمة قلة القراء نظراً لتعلق الناس في هذا العصر واهتمامهم المفرط بأمور الحياة ومشاكلها وانشغالهم بها وانغماسهم فيها ، دون أن يسمحوا لأنفسهم بالقراءة أو لغيرهم بأن ينصحهم بها ، خاصة إزاء الاختراعات التي غزت المجتمعات البشرية والتي تجمع بين التعليم والتسلية بما في ذلك السينما التي تجذب الناس إليها ، وتقدم لهم في يسر يسير ما يحبون أن يعرفوا من تاريخ الناس وأحداثهم وأحاديثهم ، ثم النادي أو القهوة التي تحشر الناس إليها وتغريهم بما تقدم لهم من شراب مستساغ ، وما يقدمه البعض منهم للبعض الآخر من أحاديث سهلة ممتعة حول الناس والسياسة والمجتمع ... ثم المذياع الذي ينطلق تارة في يسر وأخرى في عنف يصب في رأس المستمع من الموسيقى والغناء والأحاديث ما يشاء بمجرد ما يضغط على هذا الزر. ويطالع الناس في الصحف في الصباح والمساء فتشغلهم بقراءة أنبائها وتعليقاتها عن أن يجدوا وقتاً ينصرفون فيه إلى القراءة الجدية والمجدية ، ثم إن التعليم الإجباري الذي فرضته ديمقراطية العصر خلق كثرة من القراء من مختلفى الثقافات لا تستطيع الكثرة منهم أن تفرغ لقراءة الأدب الرفيع وإعمال الفكر فيه والأديب في ذلك بين اثنين - يقول الدكتور العميد - إما أن يكتب للكثرة وإما أن يكتب للقلة فإن كتب للأولى نزل بأدبه حيث لا ينبغي ، وبذلك لن يرضى نفسه وأدبه وضميره ، وإما أن يكتب للقلة ويفرغ لأدبه وهو إن فعل

ذلك أو شك أن يقتل نفسه جوعاً؛ لأنه غير واجد من يستطيع أن يعتمد عليهم، وهنا يجد نفسه مضطراً لمزاولة عمل حر أو وظيفة حكومية فليحمل بذلك نفسه الوقوع في صحراء قاحلة حيث يصرف عن القراءة الرفيعة المتواصلة، ويحال بينه وبين الإشباع الثقافي فيصاب ما يكتبه بالفراغ والضحالة. وهنا وقف الدكتور طه حسين مقارناً بين الأديب المعاصر والقديم مبدياً ما كان يتمتع به الأدباء القدامى من تشجيع وعطف وتقدير، والوقت الذي كان يهياً لهم ليفرغوا لأدبهم وليضاعفوا من إنتاجهم، مكثفين بقصائد ومدائح يقدمونها في بعض المناسبات لحماية أدبهم من الخلفاء والأمراء والوزراء كضريبة أو إتاوة بسيطة للمحافظة على تلك الذخائر الأدبية والعلمية التي تحفل بها المكاتب العربية في مختلف الأقطار. ومبالغة في الحفاظ على تلك الذخائر كانت تكتب باسم هذا الخليفة أو ذاك، أو بطلب منه، أو إهداء له، أو لأحد وزرائه. ويزيد الدكتور: ومهما بلغت سخريتنا، نحن المعاصرين، بأولئك الأدباء أو الشعراء عندما يمدحون من يحبون فلن تبلغ سخريتهم بهم أى ممن يمدحونهم حينما يتخذونهم حماة لهم ولأدبهم ودوراً للنشر لإنتاجهم في طول البلاد وعرضها.

كانت آثار وكتب الجاحظ وكان أدب المتنبي وشعره "الذى لم يخلص في مدحه إلا لسيف الدولة نظراً لمواقفه المشرفة"، وما كانت آثار هذين وغيرهما لتصل إلينا بهذه الروعة والفائدة لولا الحماية التي كانا يتمتعان بها! إلا أن أدباء العصر أصبحوا يربؤون بأنفسهم وبأدبهم من أن يكون تزلفاً وإن كان هذا التزلف تطوراً أيضاً ليصبح توظفاً! ثم الطباعة ودور النشر التي حملت عنهم بعض العبء وقانون حرية الفكر والنشر الذى حمل عنهم البقية الأخرى على أن

التوظيف الذى يضطر إليه الأديب قد يدفعه إلى قبر مواهبه والقضاء على نزوعه العلمى والتوجيهى ... هذه بعض المشاكل التى عاجلها الدكتور العميد فى القسم الأول من محاضراته والتى تتصل بمشاكل الأدب عمومًا ، ثم ذكر بعض ما تقوم به الجمعيات والمنظمات فى العصر الحاضر لمحاولة معالجة هذه المشاكل خاصة فى أوروبا مثل نادى القلم، ومنظمة اليونسكو ، واللجنة الثقافية للجامعة العربية . ومن هنا تطرق للحديث عن مشاكل تعليم الأدب العربى وهى أدق وأخطر - كما قال سيادته - وهو حريص أشد الحرص على معالجة هذه المشاكل الخطيرة. وتعليم الأدب العربى إحدى مشاكله الكبرى ما دام مرتكزا على اللغة العربية وغير متيسر إلا بها ، والشباب العربى الذى أخذ يكتسب عقلية القرن العشرين يجد من الصعوبة بمكان مسايرة الطريقة المتبعة فى تعليم اللغة العربية وآدابها ، فإذا لم تصلح هذه اللغة، وييسر هذا النحو - يقول الدكتور العميد - فإننا نجد أنفسنا مسؤولين عن إعراض الشبان عن الأدب العربى ، بل ونعتبر محرضين لهم على ذلك ما دما نقف هذا الموقف السلبى . وتأتى بعد هذه المشكلة مشكلة الكتابة العربية التى تجعل الفهم قبل القراءة بدلا من أن تسبق القراءة الفهم نظراً لعوامل الشكل والإعراب. وهنا أتى الدكتور بأمثلة عديدة مبينا الصعوبة الشاقة التى يجدها المتعلم المبتدئ مما يبغض إليه اللغة والبلاغة وأستاذ العربية وآدابها، والنتائج البسيطة السطحية التى يحصل عليها الطالب بعد تخرجه النهائى وعدم تمكنه من لغته قراءة وكتابة صحيحة فضلا عن أن يتكلم بها . هذا مع ما يجده فى اللغات الأوروبية من سهولة تغريه بأن يتزيد منها كلما تقدم فيها قراءة وكتابة وحديثاً .



ولم يفت عميد الأدب في آخر الأمر تحذيرنا من مدرسة اللغة العامية أو لغة الشارع كما يسميها الدكتور التي نشأت في بعض البلاد العربية وأخذت تجدد لها أنصاراً كثيرين وفي مصر خاصة والتي تدعو إلى اتخاذ اللغة العامية لغة الكتابة والأدب مبينا الأخطار التي تكمن وراء هذه المدرسة فيما إذا قدر لها الانتشار والانتصار فيكون بذلك القضاء على العربية كلغة تجمعنا تاريخياً ودينياً وقومية، ويكون مصيرها مصير اللاتينية لا يرجع إليها إلا لدراسة أصل اللهجات العامية كما يرجع إلى اللاتينية لدراسة أصول اللغات الأوروبية ، هذا مع ما في ذلك من قطع الصلة بين البلاد العربية وانكماش كل واحدة منها مع لهجتها الخاصة بها والتي لا يستطيع فرضها أو التفاهم بها مع غيرها مطلقاً !

ويقول عميد الأدب : وهذا خطر - يمحق وجودنا كأمة ذات تاريخ وأدب ولغة مشتركة . وما علينا إلا أن نختار بين ذلك وبين طرق تدريس الأدب وتيسير الكتابة والنحو ، أما مصر فقد اختارت أو هي في طريق الاختيار عندما قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة تيسير النحو وإعادة النظر في الطرق المتبعة في تدريس اللغة والأدب . ثم ناشد ، في الختام ، الأديب الكبير أدباء المغرب وعلماءه ومفكره بأن يساهموا بدورهم في تحرير الأدب العربي والكتابة العربية من تلك القيود الثقيلة المذكراً إليهم بأن أول من ركن إلى ما في النحو العربي من سحر وطلاسم غير مفهومة ودعا إلى إصلاحه القاضي المغربي ابن مضاء في نهاية القرن الثاني عشر (١) "

---

(١) وقع خطأ عند تلقى المحاضرة ، فعوض ابن مضاء كتب ( ابن نظارة ) وعوض القرن الثاني عشر كتب القرن السادس عشر الأمر الذي أربكنا بعض الوقت .. وقد ظهر أن القصد إلى ابن مضاء أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي قاضي قرطبة وفاس ومراكش ، له أسماء كثيرة إلا أنها ضاعت عند استيلاء الروم على المرية . له كتاب في الرد على النحويين انتقده ابن خروف فعقب عليه ابن مضاء قائلاً : نحن لا نبالي بالكباش النطاحة فكيف تعارضنا الخرفان ؟ وللدكتور الأستاذ شوقي ضيف تأليف حول الموضوع على ما أسلفنا. توفي القاضي ابن مضاء يوم ٢٧ جمادى الأولى ٥٩٢ - ١٩ أبريل ١١٩٧ . د. التازي، جامعة القرويين ج ١ ، ١٧٥ طبعة دار الكتاب اللبناني ١٩٧٢ .

الملحق الخامس  
قصيدة الشاعر محمد الحلوي التي ألقاها  
يوم ١٩٥٨/٧/٢

حَقُّ عَلَى الشُّعْرِ أَنْ يُهْدَى عَرَائِسُهُ  
 حَقُّ عَلَى الشُّعْرِ أَنْ يُهْدَى قَلَائِدُهُ  
 فَبَيْنَ وَأَفِيدْنَا وَالشُّعْرِ مِنْ زَمَنِ  
 هَفَا إِلَيْكَ كَمَا يَهْفُو الْفَرَّاشُ إِلَى  
 هَفَا إِلَى حِضْنِكَ الدَّافِي لِيُنْعِشَهُ  
 وَمَا لِعَيْرِكَ يَهْفُو بَعْدَمَا رَفَعَتْ  
 يَشْدُو بِآيَاتِكَ الْكُبْرَى الَّتِي فَخَرَتْ  
 مَرَحَى بِأَكْرَمِ ضَيْفٍ زَارَ إِخْوَتَهُ  
 هَبَطَتْ بِالْيُمْنِ أَرْضًا طَالَمَا نَزَعَتْ  
 سَعَى إِلَيْكَ بَنُوهَا فِي مَوَاجِبِهِمْ  
 خَفُّوا إِلَى الْعِلْمِ يَطْوِي الْبَحْرَ مُتَّجِهَاً  
 يَسْتَرْوِحُونَ بِلِقْيَا طَالَ مَوْعِدُهَا  
 لَمْ يَنْسَ أَبْنَاءُ هَذَا الشَّعْبِ صِرْحَتَكُمْ  
 أَرْسَلَتْهَا مِنْ ضِيْفَانِ النَّيْلِ عَالِيَةً  
 وَخُضَّتْهَا بِسِلَاحِ الْفِكْرِ فَانْتَفَضَتْ  
 كَانَتْ عَلَى الْفِكْرِ أَنْكَى مِنْ مَدَافِعِهِمْ  
 إِنَّا - بَنِي الْعُرْبِ - فِي الْآلَامِ يَجْمَعُنَا  
 مَا فِي بَنِي الشَّرْقِ شَعْبٌ لَمْ تَنْلُهُ يَدُ  
 أَبْنَاءِ رَابِطَةٍ لَا شَيْءَ يَفْصِلُنَا  
 نَوَائِبُ جَعَلَتْ أَهْدَانَا هَدَفًا  
 تَحِيَّةٌ لِعَمِيدِ الشُّعْرِ وَالْأَدَبِ  
 لِصَانِعِ الدُّرِّ وَالْإِبْدَاعِ وَالْعَجَبِ  
 وَشَائِحِ جَمَّةٍ مَوْصُولَةَ النَّسَبِ  
 خَمِيلَةَ الزَّهْرِ يَرَوِي الشُّوقَ عَنْ كَتَبِ  
 مِثْلِ الْيَتِيمِ الَّذِي يَهْفُو لِحِضْنِ أَبِي  
 لَهُ يَدَاكَ مَقَامًا فِي ذُرَى الشُّهْبِ  
 بِهَا النَّوَادِي وَأَغْلَتْ ثَرْوَةَ الْعَرَبِ  
 فَوَثَّقَ الرَّحِمَ الْقُدْسِيَّةَ السَّبَبِ  
 إِلَيْكَ وَاسْتَأْنَسَتْ فِي الْوَصْلِ بِالْكَتَبِ  
 يُكْرِمُونَ أَدِيبَ الشَّرْقِ بِالْأَدَبِ  
 إِلَى بَنِيهِ بِهَذَا الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ  
 وَيَسْمَعُونَ عِيَانًا صَوْتَكَ الذَّهَبِيِّ  
 يَوْمَ الْجِلَادِ وَهُمْ فِي زَحْمَةِ الْكُرْبِ !  
 دَوَى صَدَاهَا عَلَى الْأَكَامِ وَالْهَضْبِ  
 ضَمَائِرُ رَزَحَتْ فِي ظُلْمَةِ الْحُجْبِ  
 وَقَعًا وَأَفْتَكَ فِي الْهَيْجَا مِنَ الْقُضْبِ  
 مَاضٍ مَجِيدٌ وَقُرْآنٌ وَدِينٌ نَبِيٌّ  
 سَفَاكَةٌ مِنْ غُزَاةِ الْعُرْبِ فِي الْحِقْبِ  
 فَمَنْ بِفَاسٍ كَمَنْ فِي مِصْرٍ أَوْ حَلَبِ  
 وَعَلَّمْتَنَا انْتِزَاعَ النَّصْرِ بِالْغَلْبِ

لَمْ نَسْ نَخْوَةَ مِصْرَ يَوْمَ بَيْتِهَا  
أَرْضُ الْعُرُوبَةِ كَانَتْ كُلُّهَا هَدَفًا  
بِرَغْمِ مَا بَيَّتُوا لِلشَّرِّقِ مِنْ فِتْنِ  
ثُرْتَا - كَمَا يَعْهَدُونَ الْعُرْبَ - أَسَدَ شَرِي  
حَتَّى هَوَتْ دَوْلَةُ الطُّغْيَانِ وَأَنْهَزِمَتْ  
يَا رَائِدَ الْأَدَبِ الْعَالِيِ وَبَاعِثَهُ  
وَالْعَبْقَرِيَّ الَّذِي يَجْلُو رَوَائِعَهُ  
أَسَدَيْتَ لِلضَّادِ مَا حَلَّى مَفَارِقَهَا  
أَدْنَيْتَ مِنْهَا قُطُوفًا طَالَمَا قَصُرَتْ  
وَجُلْتَ فِي رَحَبَاتِ الْعِلْمِ مُنْطَلِقًا  
بِهِمَّةٍ غَارَ مِنْهَا الشَّيْبُ وَأَنْقَطَعَتْ  
وَفَيْتَ لِلضَّادِ يَا أَوْفَى الْبَنِينَ لَهَا  
بَعَثْتَ فِيهَا كَعِيسَى عِنْدَ رَقْدَتِهَا  
فَأَيَّنَعَتْ وَزَكَتْ جَنَائِهَا وَبَدَتْ  
وَشَعَّ فِكْرُكَ فِي الْآفَاقِ يَغْمُرُهَا  
لَوْ قِيلَ لِلْعِلْمِ مَنْ يَغْشَى مَجَاهِلَهُ  
لَقِيلَ طَهَ أَبُوهَا وَأَبْنُ بَجْدَتِهَا  
أَتْنَتْ عَلَيْكَ الْقَوَافِي وَهِيَ صَادِقَةٌ  
يَا طَالِعَ السَّعْدِ فِي عِيدِ الْفِدَاءِ لَقَدْ

أَعْدَاؤُهَا فَانْثَنُوا بِالْعَارِ وَالْهَرَبِ  
لِلْمُعْتَدِي وَقَنَاةِ الْمَوْتِ وَاللَّهَبِ  
وَمَا أَذَاقُوا بِنِيهِ الصَّيْدَ مِنْ لَغَبِ  
تَنْقَضُ بِالْمَوْتِ فِي بَأْسٍ وَفِي غَضَبِ  
فُلُولُهَا وَأَسْوَدُ اللَّهِ فِي الطَّلَبِ  
وَقَائِدَ الْجَيْلِ لِلْعَالِيِ مِنَ الرَّتَبِ  
فَيَسْبَحُ الْفِكْرُ فِي تَيَّارِهَا اللَّجَبِ  
وَزَانَ مَبْسِمَهَا بِالْدُرِّ وَالشَّنْبِ<sup>(١)</sup>  
عَنْهَا الْأَيْدِي وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ تَطِبِ  
بِالْعَقْلِ لَا تَشْتَكِي فِيهَا مِنَ اللَّغَبِ  
لَهَا عَزَائِمٌ مِنْ يَصْبُو وَلَمْ يَشِبِ  
وَطَبَّتْ نَفْسًا بِمَا أَسَدَيْتَ مِنْ قُرْبِ  
بِمُبْدَعَاتِ الْحَجَى وَالْمَنْطِقِ الدَّرْبِ  
حَسَنَاءَ تَرْفُلُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشْبِ  
نُورًا وَيَنْسَابُ مِثْلَ الْجَدْوَلِ السَّرْبِ  
وَلِلْمَحَافِلِ مِنْ صَنَاجَةِ الْعَرَبِ ؟  
وَفَارِسُ الْأَدَبِ النَّزَاعُ لِلْقَصَبِ  
وَالشَّعْرُ فِيكَ يُجَافِي وَصِمَةَ الْكَذِبِ  
نَزَلْتَ أَهْلًا وَسَهْلًا مَمْرَعِ الْجَنَبِ

(١) الشَّنْبُ : جمال الثغر ، وجمال الأسنان



وَزُرْتُ شَعْبًا عَرِيقًا فِي حَضَارَتِهِ  
وَمَا ابْتَنَى مِنْ مَبَانِي الْعِلْمِ شَامِخَةً  
يَزْهُو بِأَمْجَادِهِ الْكُبْرَى الَّتِي شَرُفَتْ  
فَقُلْ لِمِصْرَ وَقُلْ لِلْعَرَبِ إِنَّ لَهُمْ  
وَاحِمِلْ تَحِيَّتَنَا يَا خَيْرَ مَنْ بُعِثَتْ  
إِلَى الْعُرُوبَةِ مِنْ شَعْبٍ وَمِنْ مَلِكٍ  
يَزْهُو - كَمِصْرٍ - بِمَا قَدْ شَادَ مِنْ قُبِّ  
وَمَا أَقَامَ لِنُورِ الْفِكْرِ مِنْ نُصْبٍ  
بِهَا الْبُطُولَةُ مِنْ أَبْنَائِهِ النَّجْبِ  
فِي الْمَغْرِبِ الْحُرِّ مَجْدًا نَاطِحَ السُّحْبِ  
بِهِ التَّحَايَا وَأَوْفَى مُكْرَمٍ وَأَبٍ  
وَأَسْلَمَ لَنَا وَلِخَيْرِ الضَّادِ وَالْأَدَبِ

عن ديوان الشاعر الحلوى بخطه

وقد نشرتها مجلة دعوة الحق في عددها الأول

من السنة الثانية ربيع الأول ١٣٧٨ = شتنبر ١٩٥٨

الملحق السادس:

من استجوابه: عن مجلة الإذاعة الوطنية، يولييه ١٩٥٨

ألقى مندوب الإذاعة الوطنية الأسئلة الآتية على الدكتور طه حسين ففضل

معاليه بالإجابة عنها :

سؤال : أترتم في محاضرتكم الأولى مكانة الأدب العربي بين الآداب العالمية .  
فهل لكم أن تحددوا وضع أدبنا بين هذه الآداب في العصر الحديث  
وهو في وسعه اليوم أن يسهم بنصيبه في نماء التراث العالمي ؟

الجواب : أما في العصر الحديث فقد أشرت في آخر المحاضرة إلى أن من  
الواجب علينا أن نمكن أدبنا من أن يكون قادراً على أن يسهم في  
ترقية الحضارة كما تسهم الآداب الكبرى في ترقياها .

أما في العصر القديم فقد قلت غير مرة في محاضراتي وكتبي إن أدبنا  
العربي القديم يحتل منزلة ممتازة ، فهناك أدبان قديمان بقيا على وجه  
الدهر ، أحدهما الأدب اليوناني والآخر الأدب اللاتيني .

وقد قلت إن أدبنا العربي يأتي بعد الأدب اليوناني مباشرة ، لأنه أدب  
أصيل من جهة ولأنه كان أدب أمة تحتل العالم القديم كله أو أكثره  
على أقل تقدير . وأنه قد أتيح له من البقاء مثلما أتيح للآداب القديمة  
الأخرى ، وأنه بعد هذا كله أو قبل هذا كله ، إن شئتم ، قد استطاع  
بلغته وبخصائصه أن يقهر آداباً محلية كثيرة في الشرق والغرب أيضاً .  
فهو في الغرب قد قهر الآداب اللاتينية في إسبانيا وهو في الشرق قد  
قهر آداباً ولغات مختلفة .

فأدبنا العربي كما قلت في غير كتاب وفي غير محاضرة يأتي بعد  
الأدب اليوناني القديم ولا تستطيع الإنسانية أن تستغنى عنه ولأجل أن

أبين لكم بأن الإنسانية لا تستطيع أن تستغنى عنه ألفت نظركم إلى أن هذا الأدب العربي القديم وما نشأ عنه من أدب عربي حديث ، إنما هو أدب أمة عربية مهما تختلف أوطانها ومهما تختلف مذاهبها في السياسة، فهي أمة توحيدها لغتها وتوحيدها خصائصها المختلفة ، وهي لا تقل عن ما يقرب من مائة مليون من الناس ، وإذا كانت الإنسلفية تستطيع أن تستغنى عن هذه الملايين التي تقرب من المائة فهي لا تستطيع أن تستغنى عن أدب هذه الملايين .

إنما أدبنا الحديث يحتاج إلى جهد عنيف هو الذى دعوتكم وما زلت أدعو الأمة العربية كلها إلى بذله ليكون قادراً على أن يقف موقفاً يشبه الأدب القديم ويمكن أن يوازن بالآداب الكبرى فى هذا العصر الحديث .

سؤال : نلاحظ تقهقراً فى الشعر العربى بالنسبة لما كان عليه منذ عشرين سنة . فما رأيكم ؟ وما هى الأسباب ؟

الجواب : أظن أن أسباب تقهقر الشعر العربى ترجع إلى أشياء مختلفة ، بعضها عامة ، فالشعر يتقهقر فى كثير جداً من الأمم ، لا فى الأمة العربية وحدها ، وذلك أن هذا العصر الذى نعيش فيه ليس عصر شعر ، وإنما هو عصر العلم وعصر العقل وكما تعرف ، العقل ينتج نثرًا ولا ينتج شعرًا !

فكما أن الشعر فى البلاد الغربية قد ضعف أمره ، فهو عندنا قد ضعف أمره ، وهناك سبب آخر ، وهو أن قوة الشعر التى أتاحت لنا



في العصر الحديث إنما كانت قوة الشعر التقليدي ، الشعر الذي كان يقال على مذهب الشعراء القدماء وقد عرفت مصر بنوع خاص شعراء امتازوا وبعد صيتهم وعرفوا خارج حدود مصر ، عرفت مصر حافظا وعرفت شوقي وعرفت البارودي ، ولكن هؤلاء جميعا كانوا مقلدين ، كانوا ينظرون دائما إلى الشعراء القدماء .

من أراد منهم أن يكون مجدداً نظر إلى شعراء العباسيين ، ومن أراد منهم أن يكون محافظاً نظر إلى الشعراء الإسلاميين والجاهليين ، ولم يكن هؤلاء الشعراء حظ ممتاز من الثقافة الحديثة ، لم يقرأوا شعراء الغرب وقد قرؤوا من الآداب الغربية أطرافاً تطول أحياناً وتقصّر غالباً ولكنهم لم يتأثروا بالثقافات الغربية تأثراً كافياً . فكان شعرهم تقليدياً، وقل مثل هذا في الشعر الذي كان يقال في العراق ويقال في سورية . كل هذا الشعر كان شعراً يقلد به القدماء ، وقد انتهت مدرسة القدماء وبقيت طائفة من الشعراء مازالت تقول هذا الشعر التقليدي ولكن الأمة العربية محتاجة إلى أن يجدد الشعر ، ولأجل أن يجدد الشعر يجب أن تجدد الثقافة ولأجل أن تجدد الثقافة يجب أن يشيع العلم باللغات والآداب الأجنبية ، ويجب أن يكون بيننا من يتعمقون هذه اللغات وهذه الآداب الأجنبية .

وكل هذا لم يتح لشبابنا إلى الآن ، وعليكم أنتم ، معشر الشباب، أن تتقنوا اللغات الأجنبية دون أن ينسيكم هذا لغتكم العربية ، عليكم أن تتقنوا لغتكم أولاً وتراثكم أيضاً، ثم عليكم بعد ذلك أن تضيفوا إلى

ما ورثتم عن آباءكم علمًا جديدًا باللغات الأجنبية والآداب الأجنبية وأن تتعمقوا هذه اللغات والآداب تعمقًا يتيح لكم أن - لا أقول تقلدوها - تأتوا بخير مما فيها إن استطعتم . فهذا هو الذى ينقصكم ليكون عندكم نثر ممتاز وشعر ممتاز أيضا . فلا تسألوني أنا عن هذا واسألوا أنفسكم : أقادرون أنتم على أن تتقنوا لغتكم وآدابكم ، ثم على أن تتقنوا بعد ذلك لغات وآدابًا أجنبية ، فإذا كان الجواب نعم فثقوا أنكم ستنتجون شعرًا ونثرًا جديدين ممتازين ، وإن كان الجواب لا فستظلون مقلدين كما كان الذين سبقوكم منذ عشرين أو ثلاثين عامًا !

سؤال : لم يضيف إلى لائحة أعلام الآداب فى الشرق العربى اسم جديد منذ جيل تقريبًا . فهل يمكن أن نطمئن إلى من يخلف هذه الطبقة ؟

الجواب : تستطيع إن شاء الله أن تطمئن بالشرط الذى قلته آنفًا ، هو أن نحرص على أن نتقن تراثنا العربى ، ونضيف إلى إتقانه العلم والآداب والحديث واللغات الحديثة.

أما من غير ذلك فلا تنتظر خيرًا !

سؤال : ما رأيكم فى الأدب الملتزم ؟ ألا ترون فى الالتزام تقييدًا لحرية الأديب؟ وهل يجب أن يكون الأديب العربى ملتزمًا فى العصر الحاضر؟

الجواب : كل أديب ملتزم ، ومسألة الالتزام هذه مسألة من جهة فى غاية اليسر ومن جهة فى غاية التعقيد ، هى يسيرة كل اليسر إذا أخذناها أخذًا طبيعيًا .

فكل أديب يلتزم حياة البيئة التي يعيش فيها ، وهو لا يستطيع أن يخرج من بيئته، وأذكر - إن شئت - قول أبي العلاء :  
وَهَلْ يَأْبَقُ الْإِنْسَانُ مِنْ مُلْكِ رَبِّهِ      فيخرج من أرض له وسماء؟!  
فأنت عربي لا تستطيع أن تخرج من عروبتك مهما تفعل ، وأنت مغربي لا تستطيع أن تخرج من مغربيتك مهما تفعل . وأنت تعيش في هذه البيئة ولا تستطيع أن تخرج منها مهما تفعل ، فإذا أنتجت شعراً أو نثراً فسيكون عربياً وسيكون مغربياً وسيؤثر بيئتك وبتراثك القديم وبالعصر الذي أنت فيه .

وأنت من هذه الناحية ملتزم ، وكل أديب بهذا المعنى فهو ملتزم أيضاً، إنما إذا نظرت إلى الالتزام على أنه التزام سياسى ، فهذه هى الطامة الكبرى ! ذلك أن الالتزام السياسى معناه قتل حرية الفن ! والفن يجب أن يكون حراً ، وأنا خاصة لا أتصور الفن إلا حراً ولا أحب أن تصدر إلى أوامر السياسة بأن أقول فى هذا الموضوع وألا أقول فى ذلك!!

وفى العالم الآن هذان المذهبان : مذهب الالتزام اليسير الطبيعى الذى لم يبرأ منه أديب ولا كاتب ولا شاعر ، ومذهب هذا الالتزام السياسى الذى جاءنا من الغرب الأوروبى ثم وصلت أطراف منه إلى البلاد العربية ، هذا الالتزام السياسى إنما جاء من البلاد الشيوعية .

فالبلاد الشيوعية هى التى تسيطر على العقل ولا تريد أن يكتب الكتاب ولا أن ينشئ الشعراء شعرهم ولا أن يصور المصورون ولا أن ينحت المثالون إلا فى نطاق الحدود التى يرسمها الحزب الشيوعى

والمذهب ، فهذا الالتزام بهذا المعنى شيء ممقوت بالطبع وهو يعادى  
حرية الفن ويقتل الفن ولا ينتج إلا كلاماً رسمياً ترضى عنه الدولة !  
وإذن فهناك هذان النوعان من الالتزام ، التزام طبيعي لا يبرأ منه  
كاتب ولا شاعر ، والتزام تفرضه السياسة يجب أن يبرأ منه كل  
صاحب فن حر !



الملحق السابع:  
مقال للدكتور طه حسين  
نشرته جريدة (الجمهورية) المصرية  
في عددها ١٩٥٨/٧/٢٩  
أرض البطولة!

لم تكد السفينة تبلغ مرساها في جبل طارق حتى رأينا أنفسنا محاطين بجماعة كريمة من المغريين والمصريين قد تفضلوا فأقبلوا للقائنا وأبى عليهم كرمهم أن ينتظرونا في المغرب فعبروا المضيق أو الزقاق كما كان القدماء يقولون للقائنا في الأرض الإسبانية التي يحتلها الإنجليز .

وكنا قد قضينا في تلك السفينة ثلاثة أيام كاملة لا نسمع العربية إلا من أنفسنا حين يتحدث بعضنا إلى بعض وإذا نحن الآن لا نسمع إلا العربية التي أخذتنا من جميع أقطارنا، فريق يتحدثها في أناةٍ وهدوء وهم المصريون وآخرون يتحدثونها في لهجة سريعة قوية كأن ألفاظها تنحدر وتصطك في تحدرها من القمة إلى السهل وهم المغريون (١) .

ونحن بين أولئك وهؤلاء حائرون لا ندرى كيف نجيب ولا على من نجيب ثم يتقدم مستشارنا الثقافي فيعرفنا إلى المستقبلين ويعرفهم إلينا ، منهم من يمثل وزارة الخارجية المغربية ، ومنهم من يمثل وزارة التربية والتعليم المغربية أيضًا ومنهم من يمثل حاكم طنجة. ومنهم من أقبل ليحيى عهدًا بأستاذه القديم الذي عرفه في جامعة القاهرة حين كان يختلف إلى دروسه في كلية الآداب، وآخرون أرسلتهم سفارتنا للقائنا قبل أن نبلغ المغرب .

ولست أدري كيف اختطفنا هؤلاء السادة واختطفوا معنا أمتعتنا ونقلونا من سفينتنا تلك الضخمة الفخمة إلى سفينة صغيرة عبرت بنا المضيق إلى العدو المغربية ، بل لست أدري كيف عبرنا هذا المضيق ، فقد رأيتني غارقًا في الحديث مع هؤلاء السادة كأنى لم ألقهم منذ وقت قصير، وما هى إلا أن نبلغ العدو

(١) كان الأستاذ سعيد العريان يعت اللهجة المغربية بأما " قذافية " !

المغربية فنحطف من سفينتنا الصغيرة إلى السيارات التي تمضي بنا مسرعة لا تلوى على شيء حتى تبلغ بنا بيت الحاكم ، وهناك أعلم أننا ضيف على الحاكم سنقضى عنده ما بقى من النهار وسنقضى عنده الليل أيضاً وسنغدو مع الطير لسبلغ الرباط قبل الظهر في الغد ، لأن جلاله الملك قد تفضل فقرر أن يستقبلنا ظهر اليوم الذي نبلغ فيه الرباط كأنه يلقانا في عاصمة ملكه تكريماً لبلادنا ولنا . وقد جرت الأمور حسب البرنامج الموضوع ، وشرفنا بلقاء الملك وسمعنا من جلالته خير ما يحب المصري أن يسمع عن وطنه وعن حكومته . وخير ما يحب كاتب متواضع مثلي أن يسمع من تحية وثناء يصدران من رجلٍ عظيم بأدق معاني هذه الكلمة وأوسعها .

لم يكتسب عظمته من الملك وإنما اكتسب عظمته من نفسه ، من إباءه للضيم وصبره على المكروه واستبساله في مقاومة العدو واحتماله إذايته لا لشيء إلا أن يكون ملكاً كريماً لوطن كريم ، بذل هذا الجهد كله واحتمل هذا المكروه كله وهو مؤمن بأنه لم يصنع شيئاً ذا خطر وإنما أدى أيسر ما يجب على المواطن المخلص للوطن الحبيب ، ولا أكاد أذكر لجلالته بعض ذلك حتى يُحوّل الحديث في يسر وسماح كأنه لا يجب أن يثنى عليه أحد لأنه أدى إلى وطنه بعض ما يجب عليه !!

ونخرج من حضرة الملك مكرمين شاكرين فلا نكاد نبلغ الفندق ونقضى فيه ساعات قليلة حتى نغرق في حفاوة المغرب بنا وإكرام المغرب لنا ، ونظفل غرقى في هذا الكرم وتلك الحفاوة أسبوعين كاملين ولا نعود إلى أنفسنا أو لا نعود أنفسنا إلينا إلا بعد أن يردنا الذين أخذونا من سفينتنا إلى هذه السفينة

نفسها بعد أن بلغت تلك الأرض الإسبانية التي يحتلها الإنجليز وهي جبل طارق.

الحديث عن المغرب الأقصى شاق عسير لأنه متشعب لا يدرى الكاتب من أين يبدأ ولا إلى أين ينتهي به . فنونه كثيرة وألوانه مختلفة لأن المغرب الأقصى نفسه على وحدته وائتلافه وانسجامه واتساق أموره كلها ، مختلف أشد الاختلاف . إن أردت أن تتحدث عن طبيعته وجدت فيه البحر والمحيط والسهل والجبل والغابات والبحيرات وما إلى ذلك من هذه الطبيعة الواحدة المتعددة وإن أردت أن تتحدث عن حضارته وجدت فيه ألوانا مختلفة من الحضارة : لونا مغربيا خاصا توارثه أهل المغرب منذ كانوا قبل أن يصل الرومان إلى بلادهم فضلا عن العرب وقبل أن تكثر الصلات بينهم وبين الأمم المختلفة، ولونا عربيا خالصا صفوفاً فما أعرف بلداً حافظ على التراث العربي رغم ما اختلف عليه من الأحداث وما تتابع عليه من الخطوب كالمغرب الأقصى ، ولونا أوروبيا بعضه يصور الحضارة الفرنسية كما هي الآن وبعضه يصور الحضارة الإسبانية كما هي الآن أيضا ، وبعضه يصور ما تنتجه الحضارة الأمريكية المعاصرة .

وإن أردت أن تتحدث عن أهله وجدتهم ، على اتحادهم وائتلافهم متميزي الاختلاف : منهم المحافظ المعن في المحافظة ، ومنهم المجدد المغالي في التجديد ، ومنهم الذين يلائمون أروع ملاءمة بين الجديد والقديم، وينشئون بهذه الملائمة في أنفسهم وفي بيئتهم نوعاً من الموسيقى المستعذبة في النفوس المحببة إلى القلوب، وإذا أردت أن تتحدث عن السياسة وجدت المشكلات المعقدة أشد التعقيد التي



يتصل بعضها بسياسة المغرب مع فرنسا . ويتصل بعضها بسياسة المغرب مع إسبانيا ، ويتصل بعضها بسياسة المغرب مع أمريكا ، ويتصل بعضها بسياسة المغرب مع سائر البلاد العربية الأخرى .

فالمغرب الأقصى عربي على رغم الاستعمار الفرنسي وعلى رغم المحاولات الفرنسية العتيقة لصرفه عن العروبة وتزهيده فيها ، والتقصير به عنها ، هو عربي بأقوى ما تدل عليه هذه الكلمة ، حريص أشد الحرص على التراث العربي المشرقي والمغربي والأندلسي ، دارس لهذا كله مؤمن بهذا كله أشد الإيمان وأقواه . هو بعد ذلك مؤمن بحاضر العروبة ومستقبلها ، عالم بكل ما يحدث في الوطن العربي من ألوان التطور السياسي والاجتماعي والثقافي وهو من البلاد العربية التي تقرأ كتب المصريين أكثر مما يقرأها المصريون أنفسهم<sup>(١)</sup> .

ليس من اليسير إذن أن يتحدث كاتبٌ عن المغرب الأقصى بعد أن يقضى فيه أسبوعين لا أكثر لكثرة فنون الحديث عنه ولحاجة الكاتب أن يتنقل فيه فيكثر التنقل ويتحدث فيه إلى الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلم فيكثر التحدث ، ومع أن شيئاً من ذلك قد أتيح لي فإنه لا يبلغ أن يعطيني من العلم بشؤون المغرب ما يسمح لي بالتحدث عن هاته الشؤون في ثقة وأمنٍ من الخطأ والزلل ، على أن هناك شيئاً يستطيع الكاتب أن يقوله وهو مطمئن إلى أنه لم يخطئ ولم يزل ، ذلك أن الذي يزور المغرب الأقصى بعد استقلاله إنما يزور وطنًا من أوطان البطولة حقًا ، فمن أعسر الأشياء وأشقها أن نتحدث إلى رجل

---

(١) تذكرني شهادة طه حسين هذه في الفقرة التي أجاب بها جلالة الملك الحسن الثاني في شهر مايو ١٩٩٧ أحد كبار الصحفيين المصريين وقد سأله : عن عياب الكتاب المصري بالمغرب " كان جواب العاهل المغربي : " إن حضور الكتاب المصري بالمغرب أكثر بكثير من حضور الكتاب المغربي في مصر " (جريدة الأنباء) ٢٦ مايو ١٩٩٧ .

من رجال الحكم ، أو من رجال الثقافة الحديثة أو من المحافظين على الثقافة القديمة أو من عامة الناس إلا عرفت أن له بالسجن عهدا ! وأنه قد ذاق من الفرنسيين ألوان المحن وفنون العذاب ، وهم يتحدثون إليك بذلك بأسمين مطمئنين إلى أنهم لا يحدثونك بشيء غريب ، وإنما يتحدثون بشيء ملائم أشد الملاءمة لطبيعة الأشياء. فهم كانوا طلاب استقلال ، وكانوا يعلمون حق العلم أن من طلب الاستقلال وجب عليه أن يؤدي ثمنه غالبا ، قد يكون السجن الطويل وقد يكون العذاب ، وقد يكون النفي وقد يكون الموت أحيانا ، كلنوا يعلمون هذا كله ويطلبون الاستقلال مع ذلك ويؤدون ثمنه مهما يكن مُبَهْضًا ثقيلًا .

وقد ظفروا باستقلالهم فلم يدركهم<sup>(١)</sup> ولم يغرهم عن أنفسهم ولم يظنوا أنهم قد أتوا بالمعجزات وإنما هم متواضعون يتحدثون إليك في سر بأن الاستقلال ليس إلا الخطوة الأولى وبأن بعد هذه الخطوة خطوات كبيرة أخرى ليست سهلة ولا ميسرة وإنما هي محتاجة إلى الجهد أشد الجهد وإلى الجهاد أشد الجهاد . فهم قد استقلوا ولكن الجيوش الأجنبية لم تجل عن بلادهم بعدُ جلاء تامًا . وهم قد استقلوا ولكنهم وجدوا أمامهم شعبًا أميًا لم يعلمه المستعمرون ، وليس له بد من أن يتعلم ، ومن أن يتعلم في أسرع وقت ممكن ، وعلى أحسن وجه ممكن . وهم قد استقلوا ولكنهم وجدوا أن الفرنسيين قد آثروا أنفسهم بالخير كله، وليس من بد أن يرد إلى هذا الشعب المسنقل حقه الكامل في ثمرات

---

(١) يلاحظ أن هناك ستة سطور تحت كل صلع من الأصلاح السه لم تصور كما يجب .. (صفحة ٣) فلم يهتد لترميمها .

أرضه على اختلافها وليس هذا بالشىء اليسير الذى يجب أن يطلب لينال وإنما هو محتاج إلى الجهد المتصل والوقت الطويل والمال الكثير، وهم مع ذلك يستقبلون حياتهم باسمين لها ويستقبلون مشكلاتهم مصممين على حلها . يأخذون أمرهم بالعزم والحزم والرفق فهم يؤمنون بأن الجهود يجب أن تبذل، ويؤمنون مع ذلك بأن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى . فهم يحققون آمالهم فى أناة ويسمون إلى الرقى فى رفق . ويعلمون أن لكل شىء إبانة ويبلغون مع ذلك من الإصلاح شيئاً كثيراً ، وحسبك أن تعلم أنهم حين استقلوا لم يجدوا فى المدارس إلا مائتى ألف من التلاميذ فلم يمض عامان على الاستقلال حتى بلغ عدد التلاميذ الذين يتعلمون فى المدارس سبعمائة ألف ! ومعنى ذلك أنهم هيئوا كل شىء فى أقل من عامين لتعليم نصف مليون من أبناء الشعب .

ومثل آخر لا بد من أن أذكره وهو أن أهل المغرب الأقصى سبقونا كما سبقنا التونسيون إلى إصلاح التعليم الدينى فنفذوا تلك الخطة التى دعوت إليها فى مصر منذ حين فاتهم بالكفر والإلحاد والخيانة والمروق ، وهى أن يتعلم التلاميذ تعليمهم الابتدائى والثانوى فى المدارس الثانوية ثم يذهب منهم من شئ إلى جامعة القرويين أو غيرها من معاهد التعليم الدينى والتخصص فى علوم الدين وفى علوم اللغة العربية أيضا .

فعل ذلك التونسيون كما قلت ذلك فى الجمهورية بعد زيارتى لتونس فى العام الماضى ، وفعله أهل المغرب الأقصى . وتحدث إلى به الزعيم علال الفاسى فى يسر وسماح وشىء من الرضا والاعتزاز أيضاً (١)

(١) د. التازى : تاريخ جامعة القرويين ، طبعة بيروت ١٩٧٢ ج ٣ ص ٧٧٧ .

هذه لمحات خاطفة أسجلها الآن في هذا الحديث القصير بعد أن عدت من رحلتي السريعة للمغرب الأقصى ولكن هناك أشياء أخرى تحتاج إلى أن أتحدث عنها في أناة وهدوء ، ولابد من أن أفرغ لها ومن أن أتحدث عنها ليعتبر بها المعتبرون وليفكر فيها الذين يعنون بحفظ التراث العربي وإحيائه والذين يعنون بأن يتحقق للعالم العربي ما ينبغي له من الاستقلال والرقى وما ينبغي له مع ذلك من اجتماع الكلمة واتحاد الآراء وائتلاف الأهواء . وليس لي بد من أن أهدى أجمل الشكر وأصدقته إلى حكومة المغرب التي دعتنى إلى زيارته وإلى وزير التربية والتعليم في الجمهورية العربية المتحدة الذي يسر لي هذه الزيارة ودفعني إليها دفعا وأتاح لي أن أقضى أسبوعين في أرض البطولة ووطن الأبطال .



الملحق الثامن :

صفحة من مذكرات السيدة سوزران  
حرره الدكتور عن نزيهته للمغرب

... أما في المغرب ، فكان هو المرحلة الأخيرة من الطريق الذي كان يحمل طه على امتداده غالباً تحية مصر وكلمتها ، وأتطلع برضا إلى صورة يبدو فيها الملك محمد الخامس وهو يعانقه . كان الوجهان معا جميلين .

لقد أبحرنا إلى طنجة ، واصطحبونا إلى مقر حاكمها بأقصى سرعة محفوفين بجنود على درجاتهم البخارية التي لا تكف بفرقتها العالية وبصفارات حادة تثقب الأسماع ، إنه أمر معتاد بالنسبة لكبار هذا العالم - ولم نكن منهم - ولهذا سررنا عندما تخلصنا من هذا الضجيج الكثير .

كانت دار الحاكم داراً ساحرة ، وكانت أعلى من المدينة ، وكنا نلمح عبر أشجار أو كاليبتوس والصنوبر على شرفاتها البحر ومضيق جبل طارق . كان مضيفونا تجسيدا للطف . أما في الرباط ، فقد سمحت لنفسى - لأن طه لم يكن حراً كما هو واضح - بالقيام بنزهة شاعرية ومتوحدة ، أمام المحيط الذي لم أراه منذ سنوات عديدة .

وفي الدار البيضاء ، بعد أن ألقى حديثه ، احتفظوا به وقتاً طويلاً بحيث إنني وقد رأيت تأخر عن العودة بت هلعة من القلق ...

وقد كان مفعماً فرحاً إذ وجد نفسه في فاس ، كان السيد علال الفاسي معنا . وتدبرنا أمرنا للحصول على السيارة الصغيرة التي كانت في خدمة الملك قبل فترة من ذلك الوقت ، فسيارة عادية لا تستطيع السير في هذه المدينة ، كما أنه لم يكن من الممكن أن يخاطر طه بالسير وقتاً طويلاً في طرقات ضيقة تفصل بينها سلا لم غير منتظمة ، في جو حار جداً ، فيتعب ويرهق . إذ إننا كنا في شهر يونيه .

وعصر ذات يوم ، صعدنا إلى مدينة صغيرة تقوم على الطريق إلى الأطلس،  
لم يكن لدينا وقت كاف ، للأسف ، للمضى صعداً في هذه الجبال . كان الجو  
جميلاً وندياً ، وكان المنظر يختلف تماماً عن منظر مدينة فاس الذى يتسم  
بالخشونة العارية ! وكان هناك رجل لطيف ، أعتذر عن عدم تذكري اسمه ،  
يملك دائرة اسقبلنا فيها بأروع ما فى العالم من طرق فى الاستقبال ، وكننت  
سعيدة لتنزهى فى إحدى هذه الحدائق ذات المسطحات المتدرجة التى أحبها  
كثيراً والتي كانت مزروعة بأشجار الصنوبر والسرو . كان ظل الأوراق  
الضعيف على مياه المسبح الزرقاء يرسم صوراً غير مستقرة فى حين كانت تطفو  
بعض الأغصان الصغيرة .

ودُعى طه للحضور إلى تطوان ، فوجب الذهاب إليها . واجتازنا خلال  
وقت طويل - على الأقل بدا لي طويلاً - مساحات واسعة قاحلة . كان  
الطلاب مرحين ودودين ، ولن أنسى أننى تلقيت منهم عند وفاة طه رسالة  
مؤثرة جداً .

لم أتمكن من شراء شىء مهم من المغرب ، لكنى حملت معى على كل حال  
دثاراً صغيراً جميلاً أبيض اللون مطرز الحواف باللون الأزرق ، خاصاً بطفـل  
رضيع هو طفله مؤنس<sup>(١)</sup>

---

<sup>(١)</sup> مؤنس هو اس الدكتور طه حسين وقد تزوج بليلى حميدة أمير الشعراء أحمد شوقى، وقد تزوجت ابنته أمينة  
بالدكتور محمد حسـن الريات الذى وقع عليه اختيار حلاله الملك الحسن الثانى ليكون عضواً معاً فى أكاديمية المملكة  
المصرية

صور تذكارية ومقالات عن  
الدكتور طه حسين  
أثناء وجوده بالمغرب





# وسام الكفاؤة الفكرية للدكتور طه حسين

انعم جلالة الملك على الدكتور طه حسين بمناسبة زيارته أعلا درجة من وسام الكفاؤة الفكرية الذي خصصه صاحب الجلالة بن الأوسمة الجديدة للوي الكفاؤة من العلماء والادباء والاطباء والعنانين ورجال الفكر .  
وان الدكتور طه حسين اول من قلده هذا الوسام العلمى السامى



سمو ولي العهد بنو سط السيد محمد اللاني والسيد محمد بنو سة



القي الدكتور طه حسين امس في قاعة العلوم بالرباط محاضره فجمه عن مكانه الادب العربي بين الاداب العالميه



سمو ولي العهد يكرم الدكتور طه حسين





الدكتور طه حسني في حلة وراة المارجه



الدكتور طه حسني مع نخبة من  
المثقفين ومع حرمه ال يساره  
وعامل مدينة طنجة ال يمينه



الدكتور طه حسين يصل يوم الاربعاء

الى المغرب  
للقاء سلسلة

من المحاضرات بدعوة  
من وزارة الخارجية

الرباط، ٢٠ نوبية لماسينا)  
اعلن رسميا ان عميد الادب  
العربي الدكتور طه حسين  
سيصل الى المغرب في مستهل  
الاسبوع القادم بدعوة من  
وزارة الشؤون الخارجية لالقاء

البقية ص ٤



# المغرب

جاء المغرب في العهد الذي من - في - القارط زيارته بعد الادب  
العربي . الدكتور طه حسين ، الذي يملك قلمي استمداء ، وزارة الشؤون  
الخارجية ، وقام بهذه الزيارة التي طاق خلالها بالرباط ، والدار البيضاء ، ومراكش  
وفاس ومكناس وطنجة وبلوان ، وقد كان حواره حيا حيا حل محط حقاوه  
المفارقة واكبارهم ، فكانه الباردة من اعلام الادب العربي ، والسواقة المشتركة  
التي وثقا في الدفاع عن قضايا الشمال الافريقي

وام نسي له احد في المغرب ذلك المثل الرائع الذي لم يره في الدهاء  
والثقل حيا ارجع الى الحكومة الفرنسية ورام حياوه السرف التي كانت قد  
سحبه اياه ، احتاحا منه على اسهامها بالثريات الاسانية في المغرب

ولقد كان من جعله العسارات التي خاطبه بها جلالة الملك عند ما استقبله  
باعة العرس ، في يوم وصوله الى الرباط ، قول جلالة :

اننا والسعد العربي ، نذكر دائما موالكم في اسام محبة العرب ،  
ودلناكم المحند عن قضية المغرب ، معا كان له الامر السجج لنا على المعى  
في كالحنا الى العصر .

وتقدرا هذه الواهب السيلة ، ولتلاسيق الدنيا ، التي استداها حذيق  
المغرب الكبر للادب العربي ، انعم على جلالة الملك بوسام الكفاءة الفكرية ،  
وهو من بين الاوسمة الحديثة التي خصها جلالة الملك لدوي الكفاءة من  
العلماء والادباء والاطباء والقبائس ورجال الفكر ، ولقد كان الدكتور طه حسين  
اول من نك هذا الوسام

وخلال وقته بالمغرب ، تفضل لنا في سلسلة من المحاضرات في مدن  
مختلفة ، ذات اولها هذه المحاضرة التي نسر فيها على مهالم لقراءها ،  
والتي تناول فيها موضوع - الادب العربي وكيفية من الادب العالمية .

وقد التفت هذه المحاضرة في يوم الجمعة ٢٧ نيه ١٩٥٨ لسلا ، باعة  
المحاضرات لكلمة العلوم بالرباط ، واثبت هذه القاعة بالامانة بالنسب المثقف  
ورجال الفكر الذين كان في ظلمتهم صاحب الدهو الملكي الامر مولاي الحسن  
ول الدهد وطاظة من الوزراء واعضاء السللك الدلوماسي

# مضرة صائب الجليلة

## بقتيل الدكتور طه حسين

ويقلده وسام الكفاءة الفكرية

وصل الدكتور طه حسين في نهاية صباح امس الى الرباط قادما من طنجة التي وصل اليها يوم الثلاثاء . وافر وصوله الى الرباط حظى بمقابلة صاحب الجلالة الملك المعظم وكان الدكتور طه حسين مصحوبا بمعالى رئيس الحكومة السيد احمد بلا فريج وسفير الجمهورية المتحدة السيد اسعد محاسن وحضر المقابلة السيد احمد بناني مدير التشريعات والسيد عبد الكريم غلاب رئيس قسم الحريات واسيا بوزارة الخارجية والسيد بومهدي رئيس القسم الثقافي بنفس الوزارة والسيد عبد الهادي التازي من وزارة التربية الوطنية .

وكانت المقابلة على جانب عظيم من الحفاوة والود فقد خاطب صاحب الجلالة الزائر الكريم قائلا : اننا نرحب في شخصكم بعام من اعلام انكسر العربي في العصر الحاضر والمغرب متشرف بزيارتكم التي كان يتمناها منذ امد طويل . ومن حسن الحظ ان حثمت الى هذا البلد بعد ما احرر حريته واستقلاله فقدم لمشاهدة ما بذله من جهود في سبيل البناء والانبعاث

البقية ص ٤

## جمال الملك يقتبل الدكتور ويقلده وسام الكفاءة

تابع ص ١

### مدير التشريعات يكرمه

وفي الليلة الماضية اقام السيد احمد بناني مدير التشريعات الملكية مادة ضياء فاحرة تكريما لمعيد الآلات العربي وحضر هذه الماديه ولي العهد الامير مولاي الحسن ورئيس الحكومة ووزير الشؤون الخارجية السيد احمد بلا فريج وعميد الجامعة الاستاذ محمد العاسي وسفير الجمهورية العربية المتحدة السيد اسعد محاسن وعدد من كبار موظفي الادارة .

واحاب الدكتور طه حسين ابي ماثر جدا يا صاحب الجلالة بهذه المقابلة التي اعتم على بها ولي الشرف العظيم للمنول بين يدي جلالكم اسم الذي قد تم معركة التحرير في المغرب ومغائيم كثيرا من التصحيات والمشاق في سبيل اسعاد الشعب المغربي والكل يعرف بالفضل العظيم الذي طوقتم به حيد العروسة بكما حكم واستبسالكم الى جانب الشعب المغربي الابي فعبت جلالة الملك على كلمه الدكتور قائلا : معتز ان كل شخص مهما كانت مرتبته ينفي ان يؤدي واحه في هذا المصداق ويذكر الشعب المغربي كذلك ما قتم به ايضا من اعمال اثناء المحنة السياسية التي احتازها المغرب ولا يزال

# وسام الكفاة الفكرية للدكتور طه حسين

تابع ص 1  
الحكومة ووزير الخارجية، وكان  
يرافق الدكتور أثناء هذا  
الاستقبال السيد أحمد مختار  
سفير الجمهورية العربية  
وسكرتير الدكتور الخاص  
وبعد أن جلس الدكتور  
وراقاؤه عن يمن جلاله الملك  
قال جلاله مخاطبا الدكتور طه  
حسين :

أنا برحب بكم كعلم من  
إعلام الأدب العربي ، وكأحد  
الاساتذة الذين كان لهم العصل  
الكسر على جبل المعين الراهن  
ومن دواعي سعادة المغرب انكم  
قدمتم إليه بعدما حصل  
على استقلاله

فأجاب الضيف الكريم :  
انه لسرف لي ان أسي هذا  
البلد الذي استكمل استقلاله  
وان احتفى بمعايلة بطل الحرير  
الذي فحى بكل نفس وعال في  
سبيل استقلال بلاده ، وانني  
مسرور بان ارفع الى جلالكم  
نحوه الجمهورية العربية وحنة  
رئيسها الجليل جمال عبد الناصر  
والجمهورية العربية كأيها نعتير  
مواقفكم النبيلة في سبيل تحرير  
المغرب العربي

فعمد جلاله الملك على حديث  
الدكتور بقوله :  
نعينر ان كل شخص مهما  
كانت هربيه يحتم عليه ان

يقوم بواجبه في سعادته امه  
وحرمتها  
واننا وكذلك السعد المغربي  
نذكر دائما مواضعكم في اعام  
محنه المغرب ، ودفاعكم المجدد  
عن قضيه المغرب مما كان له  
اكبر السجع لنا لامضى في  
كفاحنا الى النصر

ونبني ان نعبروا ان هذا  
البلد هو وطنكم لانه بلد عربي  
وجزء لا يتجزأ من العروبة  
ثم بعد ذلك جرت مذكره من  
جلاله الملك والدكتور طه حسين  
حول السفر وعن برامج رحله  
الدكتور الى المغرب

وطلب جلاله الملك من السيد  
رئيس الوزراء ان سهل للضيف  
الكريم جميع انواع الراحة حتى  
لا يعيب الاستاذ في افامه هذه  
ثم كلف جلاله الملك  
عمد الادب العربي ان يبلغ  
نحوه ونعتيره الى شعب  
الجمهورية العربية وخصوصا  
الرئيس جمال عبد  
الناصر ، واعرب جلاله الملك

وهناك قام جلاله الملك وطلب  
الدكتور طه حسين وسام الكفاة  
الفكرية ولخاطبه بقوله :

نفلدكم هذا الوسام الذي  
احدث في عهد الاستقلال ثم  
قدم جلاله للدكتور بهاضه

وهنا خرج الدكتور طه حسين  
من قاعة العرش فخدمه اله  
الصحفيون طالبين منه ان يدل  
لهم بصريح حول ارتسامه  
بعد معايلة جلاله الملك فصرح  
سواده بما يلي :

انه شعور القوي من ان يوهف  
فلمس من السهل ان اؤدي ما  
اشعر به من عطف جلاله الملك  
وحسين سمائله ورائه

وهذه المقابلة التي ترفع من  
قدرتي وانا في موافق السكر  
اعجز الناس عن الاضاح عن  
شعوري الاعتراف بالجميل  
مهما تكن الشخص او الشخص  
الذين اؤدي الههم شعوري  
بالسكر ، فكيف اذا كان هو  
حضره صاحب الجلالة ، قال  
الاستقلال ، لا بالناس الى المغرب  
وجانبه ، بل زهر الجهاد في  
سبيل الاستقلال في البلاد  
العربية

سجون السكاه واعمر ، ورجال  
الصحف والادباء ، واعضاء  
جاله الجمهورية العربية المتحدة  
واجالية اللبنايه

ودامت جعله من الساعه  
السابعه حتى التاسعه مساء .  
جعلته عسا .

واقام السيد احمد بناسي  
مدير السرايات الملكة جعله  
عسا ، للدكتور طه حسين  
حضرها السيد رئيس الحكومه  
وبعض الوررا والرءم ، بل  
والدكتور اسعد مجاسين  
وسحصات اخرى

وسلمى الدكتور طه حمر اول  
محاضراته اليوم في كليه  
العلوم في الساعه التاسعه  
مساء .

1377 هـ  
التدريس  
الاداب

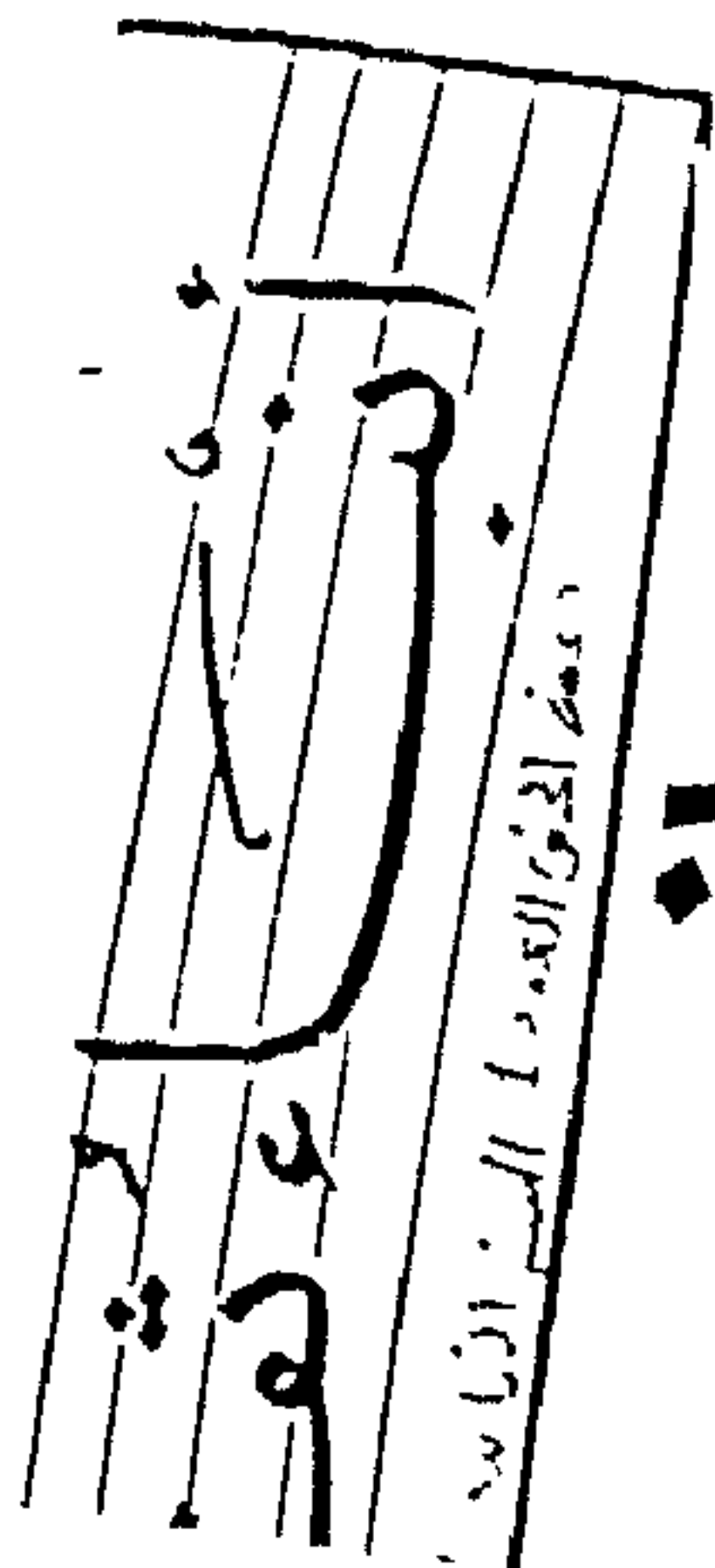
تنظيم الجامعة المغربية  
الدكتور طه حسين  
في العام المقبل



عميد الأدب العربي

# الدكتور طه حسين

## وإضافة المغرب



مرحبا بطله حسين

لقد سر شبابنا سرورا عظيما بهذه الزيارة المباركة التي يعوم بها الدكتور طه حسين في المملكة المغربية وبذلك المحاضرات التي تفضل بالقائها في بعض المدن أمام جمهرة المثقفين والطلبة وكان لها وقع جميل في النفوس . وقد اشرح صدر الكثيرين له هذه المناسبة السعيدة التي شاهدوا فيها الرجل الذي لا يذكر التجديد في الادب العربي الحديث الا ذكر اسمه ولا يشاد بالحركة الفكرية العربية التحريرية الا كان اسمه على كل لسان . ان الدكتور طه حسين شعل حيز الادب العربي بجهاذه وأسدى الى العرب جليل الاعمال بافكاره وتوجيهاته النبيرة ، وبمؤلفاته واثرائه ومحاضراته العديدة . وحسا فعلت وزارة الشؤون الخارجية باستدعاء هذا الاستاذ الكبير لزيارة شملت بكل الاحرار ويعترف بالجميل ، ولشاهدة قطر عربي شقيق هو منه واليه .

وقد تفضل حضرته فخص مندوب الازاعة الوطنية بالاستحواوب الذي يحضر القارىء الكريم في صفحة 10

سجل في 11 اكتوبر 1956  
المغرب وعم قواب اوابها . نظريا  
في عظمتها الفصية ، وذلك  
الزيارة التي قام بها عميد الادب  
الذي يقدره - بدموعه من وراة  
الدكتور حبيبا مكرما على العرب

في يوم 24 نونبر الماسى . وعادوه بعد عشرة ايام .  
ومد تسيير الدكتور بزيارة صاحب الخلافة سيدي  
محمد الخامس الذي وشح صدره بوسام الكفاية  
الفكرية . وهو اول وسام من هذا النوع بمنحه لعمال  
الكريم الى ادب البلاد العربية الاول من عمال المعية  
تعدوا الخدمات ومجته ذاته من الجهد الادبي - الفكري  
ودفاعه السرف من العروبة . من تفاع بعض اقطارها  
صد الاستعمار . وخصوصا دفاعه الدوامى عن معركة  
التحرير المعرى التي ابلت فيها الذكاء - حسن سلاء  
حسا . وقد اتست على شرفه بتراعات واحفالات  
عديدة في كل ادة برل معا ، او مدرسه حاصر فضا  
من جانب المسؤولين في الحكومة ، ورجال الفكر ،  
والشعراء ، والادباء . وقد الهى الدكتور حمسى  
محاضرات في المدن الامتة . الرباط . الدار البيضاء  
فاس ، طنوان . والمتتم لهذه المحاضرات  
ارة معاينة .

ندوة في مركز الثقافة العربي  
بمركز الثقافة العربي  
السابع لسفارة الجمهورية  
العربية المتحدة في الساعة  
الساعة والصفحة مساء امس  
ندوة استجابة لطلبات الادماء  
والمقيمين من شبابنا الذين  
رعوا في الاتصال مباشرة  
بالاسناد طه حسين لتعاه

## عميد الادب العربي

## يحاضر في تطوان

Les Jeunes Marocains

## ويغادر المغرب

صبيحة يوم الاثنين 7 يلبس على اساعه الثانية  
والنصف غادر عميد الادب العربي الدكتور طه حسين  
المغرب عن طريق ميناء طنجة متوجها الى اسبانيا لبارق  
في طريقه الى ايطاليا ثم القاهرة . وقد رافق سادته  
الى الميناء عامل المدينة وباحيتها الدكتور عبد اللطيف  
ابن جلون وعدة شخصيات ثقافية مهمة من طنجة ومن  
سفارة الجمهورية العربية المتحدة بعد ما قصى في المغرب  
اريد من اسوعين ، هو والسيدة قريبة والاسناد  
شحنة سكرتيره الخاص صيونا على وراة الخارجية  
المغربية ، قضى اسيادته تلك الاساع متعرقا الى ادماء

الاعمال والادب  
المغربية  
المشاكل  
الاعمال والادب  
المغربية  
المشاكل

المغرب واتجاهات الادب المغربي ومشاكله ، وتوجيهاته  
ومعرقا في نفس الوقت بالادب العربي الحديث ومشاكله ايضا .  
في محاضراته القيمة واتصالاته بمختلف الاوساط  
الثقافية والعلمية بمختلف مدن المغرب حيث كان